3
2007
يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني

كتابة كاملة
الجزء الثاني

النشرة الأسبوعية
نوفمبر 2007

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات نوفمبر 2007

المجلد 2، الجزء 3 – أسبوع 1 ، نوفمبر 2007
إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــه و إضطرابـــه

... قـــراءة مـن منظـــور تطـــوري

بروفســـور يحيـــى الرخـــاوي

أسبوعيـــات نوفمبـــــــــر 2007

الفهـــــــــــرس

الخميـــس 2007-11-01:	
62- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة	379
الجمعـــة 2007-11-02:	
63- حـــوار/ بريـــد الجمعة	383
السبـــت 2007-11-03:	
64- مقتطف وموقف من كتاب:سلطان الأسطورة جوزيف كامبل	396
الأحـــد 2007-11-04:	
65- حالات وأحوال (عن الفصام..)	399
الإثنيـــن 2007-11-05:	
66- حالات وأحوال (عن الفصام..)	405
الثلاثاء 2007-11-06:	
67- عن الفطرة والجسد وتَضْنيم الألفاظ	414
الإربعاء 2007-11-07:	
68- مقتطفات بلا موقف...عن الموت والوجود	426
الخميـــس 2007-11-08:	
69- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة	430
الجمعـــة 2007-11-09:	
70- حـــوار/ بريـــد الجمعة	435
السبـــت 2007-11-10:	
71- .. انتصار السعادة: برتراند رسل(!)	445
الأحـــد 2007-11-11:	
72- .. عن "المصداقية" وتشكيلاتها	449
الإثنيـــن 2007-11-12:	
73- ..عن "المصداقية" بالاتفاق	453
الثلاثاء 2007-11-13:	
74- استطرادات طريفة وسخيفة !!	458
الإربعاء 2007-11-14:	
75- عن ماهية الوجدان وتطوره! (1)	465

الخميـــس 2007-11-15:
76- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة) 469
الجمعـــة 2007-11-16:
77- حوار/ بريد الجمعة 473
السبـــت 2007-11-17:
78- عن ماهية الوجدان وتطوره! (2) 484
الأحـــد 2007-11-18:
79- عن ماهية الوجدان وتطوره! (3) 492
الإثنيـــن 2007-11-19:
80- مقتطف وموقف... عن الشعر والنثر 503
الثلاثاء 2007-11-20:
81- المخ البشرى بين التفكيك، والغسيل، وإعادة التشكيل (الإبداع) 511
الإربعاء 2007-11-21:
82- ... الموت والشعر 516
الخميـــس 2007-11-22:
83- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة) 521
الجمعـــة 2007-11-23:
84- حوار/ بريد الجمعة 525
السبـــت 2007-11-24:
85- ... عن الحب "للشباب" (وغيرهم غالبا!) 541
الأحـــد 2007-11-25:
86- ... عن الفصام (2) 550
الإثنيـــن 2007-11-26:
87- ... عن الفصام (3) 562
الثلاثاء 2007-11-27:
88- سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح) 574
الإربعاء 2007-11-28:
89- الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى 581
الخميـــس 2007-11-29:
90- أحلام فترة النقاهة 590
الجمعـــة 2007-11-30:
91- حوار/ بريد الجمعة 597

الخميـــــــس 01-11-2007

62- نجيـــب محفـــوظ: قـراءة فى أحـــلام فتـــرة النقاهـة

نص الحلم (4)

بهو مترامى الأركان متعدد الأبواب خال من كل شئ فوقف ثلاثتنا فى ركن مكنون، صاحباى يرفلان فى كامل حليتهما حتى رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربى ودون شعور بأى حرج لشدة الألفة التى تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت رجلا لا أدرى من أين جاء فى ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون على الحفلات تلففت فى جلبابى وقلت لصاحبى:

أخاف أن تقام حفلة!
فقالا بالتتابع
لا أظن
لا أهمية لذلك.

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين ماثلين للأول قد انضما إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأنى (ولكنى؟) وجدت وراءه سداً من جدار البهو فكررت المحاولة مع الأبواب جميعا وخاب مسعاى كالمرة الأولى رجعت إلى صاحبىّ واندسست بينهما كأنما أستتر بهما.

وطمأننى بعض الشئ أن الرجال الثلاثة لم يعيرونا أى التفات

وتتابعت الحركات وانهمر سيل من المدعوين من كافة النواحى.

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين أبصارهم فى ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم وبدأ فجأة شخص جليل فى هيئة الزعامة فتعالت قعقعات الهتاف. وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه فى الوقت نفسه من السير نحو الباب الذى بدا أنه يقصده وقلت لصاحبى:

سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه.

وتقدم الزعيم وسط هتاف متصاعد وتحذير مستمر حتى فتح الباب ودخل مختفيا عن الأنظار.

القراءة

صعبٌ هذا الحلم
(أحسن)
لا أريد أن أقرأه ناقدا
(من حقك)
من يقرؤه إذن
(أنت مالك – دعه يصل إلى أصحابه بدون نقد).
لكن محفوظ لم يكن ليوافق على ذلك:
على أن تهمل أعماله تحت زعم أنها عصيّة على النقد.
لا يحيى النص إلا النقد، حتى لو لم يصب هدفه.

بعد هذا الحوار الداخلى، عدت اقلب الصفحات اتصفح أغلب الأحلام، وقررت أنه ليس لزاما علىّ أن أنقدها جميعها

عاد المحاور يحتج

(ولماذا التعميم ، ولماذا القرارات المسبقة أصلا؟) .

القراءة

أشرت فى قراءتى **للحلم "3"** كيف انتهى "بثلاثهم" وهم ينظرون "وقد غلبهم والحزن والصمت "

هنا نقابل أيضا: ثلاثة، وثلاثة، (ليسو هم بداهة، أو قد يكونون هم !) وجمهور غفير، وحركات ذات إيقاع!

الثلاثة الأوَل: ينتمون إلى الناس
والثلاثة الآخرون: ينظمون الحفل الغامض صاحبه ومناسبته معا

المسرح:

بهو مترامى الأركان متعدد الأبواب
موقع الثلاثة الأول: ركن مكنون

لماذا؟
أليسوا من المدعوين؟ أليسوا من أهل الدار؟ هل هو ركن الفرجة أم الانتظار؟

الملابس: اثنان من هؤلاء الثلاثة فى كامل حليتهما حتى رباط العنق، أما الراوى فهو يكتفى بالجلباب المغربى (ولايتحرج من لباسه لشده الألفة التى تجمعه مع صاحبيه).

الحركة:

الحركات تنبثق على المسرح، وكأنها تتخلق فيه،

حتى حركة الزعيم نرى نهايتها لكننا لا نرى بدايتها.

الحركة الأولى: "سمعت" حركة: (الحركة عادة تُرى أكثر مما تسمع!) "ويظهر رجل"؟؟ (المشرف على تنظيم الحفل فى ملابسه الرسمية).

الحركة الثانية: "وجدت" حركة: (الحركة لم تسمع ولم ترَ هنا، لكنها "توجد")، رجلان انضما إلى الرجل الأول مساعداه، ربما.

الحركة الثالثة: الراوى يهرب إلى أقرب باب.

الحركة الرابعة: الراوى يرجع إلى صاحبيه بعد فشل محاولة الهرب ليندس فيهما، يختبئ بينهما / يستتر بهما (مِنْ ماذا؟)

الحركة الخامسة: يظهر الشخص الجليل فى هيئة الزعامة

الحركة السادسة: يسير الزعيم نحو الباب الذى كان مغلقا، ولكن الباب يثبت أنه ليس كذلك بالنسبة لهذا الزعيم.

الحركة الأخيرة: يمضى الزعيم دون أن يلتفت إلى الجمهور حتى لرد التحية، يمضى نحو الباب المغلق ليفتح له دون غيره ويختفى فيه، وراءه.

التساؤل الأول: لماذا يخاف الراوى أن تقام حفلة؟ هل هو يخجل من اختلاف ملبسه فى حفل يبدو أن الدخول فيه بالملابس الرسمية ؟ لكنه وجد هو وصاحبيه قبل أن يكون ثم حفل أصلا؟ ثم ما دلالة ملابسه المغربية الفضفاضة؟ هل هى الهُوِيَّةُ الخاصة يتمسك بها ولا يخجل منها، أم التخلف أم البدائية أم ماذا؟

وهل اختلاف الملبس هذا كاف أن يبرر هرب الراوى فور تيقنه من أن الحفل الذى كان يخشى أن يقام هو سيقام فعلا فى البهو المترامى الأركان؟

ثم بدا لى أنه هرب الخائف لا الرافض ولا الساخط، هرب مذعور بلا مبرر.

ثم يتبين لنا أن الحفل لزعيم لا يبالى بأتباعه المدعوين الذين توافدوا تباعا- وهم الذين يبدو أنهم كانوا فى انتظاره منقذا أو قائدا ، المهم أنه "الزعيم المنتظر"، هل هو المهدى المنتظر أم المسيخ الدجال؟ (عامة الشعب) خاصة مع جوعهم إلى الساحر المنقذ القادم يهتفون لأملهم الذى تحقق دون أن تتاح لهم فرصة أن يختبروه ؟

لكن الزعيم (أو من هو فى هيئة الزعامة) منفصل عنهم ، لا يشعر بهم أصلا فيمضى – بما فى رأسه مما لا نعرف- إلى هدفه المجهول، فتفتح له الأبواب الموصدة، التى تفصله أيضا عن الناس.

تحذير الجماهير له ألا يمضى إلى طريق مسدود لم يصلنى على أنه حرص عليه أن يصاب بالإحباط مثل الراوى، ولكنه بدا لى نوعا من محاولة استبقائه بينهم ، ربما: حتى يتيقنوا من ظهوره واقعا ماثلا،أو يتحققوا من دوره ، هل هو المنقذا المنتظرا أم المسيخ الدجال؟

لم نلاحظ فى الحلم استجابة الزعيم للهتاف، ولا تجاوبه مع الأبصار الشاخصة، ولا احترامه لتحذيرالجماهير حتى لو كان ذلك رغبة منهم فى استبقائه لما سبق ذكره، الزعيم يمضى فى طريقه دون الناس،

ليختفى عن الأنظار قبل أن يقام حتى الحفل.

حضرتْنى صورتان وأنا أتأمل هذا الاختفاء

صورة باب الهرب إلى سلم الحريق (كما فى الفنادق المؤمنة) من الباب الخلفى، وهى تستعمل ليس فقد عند الحريق، وإنما عند الإنذار به أو توقعه،

أما الصورة الأخرى فقد حضرتنى بالمصادفة البحتة، وهى صورة هرب "هرمان هسه " وهو يصعد إلى القطار الذى رسمه على حائط سجنه، تاركا الحراس وراءه وهو يختفى فى القطار مع الصورة فى النفق المظلم، ليترك الحراس "واقفين تغمرهم حيرة كبيرة"!

خيل إلى أن اختفاء الرجل "فى هيئة الزعامة" يحمل المعنيين معا، فهو هرب من حريق محتمل، حتى دون أن يحدث فعلا، وهو فى نفس الوقت هرب إلى حلم فى ذهنه بديلا عن واقع لم يخبره بما هو، وهذا غير هرب هسه من واقع اعتبره أقل واقعية من واقعه الإبداعى الذى يخلـَقه بنفسه.

.....

ثم إننا لم نعرف حتى انتهاء الحلم شيئا كافيا عن تفاعل الجماهير (المدعوين) إزاء سلوك هذا الذى هو "فى هيئة الزعامة"، والذى لم يظهر إلا ليختفى، حتى دون أن ينتبه لقعقعات هتافهم..

هل سنظل وقوفا ننتظر الزعيم التالى؟

ومن يضمن أنه سوف يكون زعيما حقيقيا، وليس فقط "فى هيئة الزعامة"؟

وترك لنا محفوظ الحلم الإبداع مفتوحا، لنقرر نحن ماذا نفعل؟

هل سيخلع الراوى لباسه المغربى الفضفاض، ليرتدى الملابس الرسمية، ويختنق برباط العنق؟ فلا يخشى إقامة أى حفل، أيا كانت طبيعته أو دوافعه، أو صاحبه، ما دام ارتدى ما يرتديه الآخرون المتلزمون بالملابس الرسمية؟

هل سيجمع منظمو الحفل مناضدهم وكراسيهم وزينتهم بعد أن انتهى الحفل قبل أن يقام؟

هل ستفتح الأبواب المغلقة فى وجوه عامة الناس ، أم ستظل مغلقة دونهم ولا يسمح لعبورها، أو الهرب منها، إلا للزعماء الذين قد يثبت أنهم ليسوا إلا "فى هيئة الزعامة "؟

الجمعـــــــة 02-11-2007

63- حـــــــــوار/ بريـــــــــــد الجمعـــــــــــة

صباح الخير:

يتراجع عدد المشاركين فى حوارنا أسبوعا بعد أسبوع، كما يتواضع محتوى الحوار كذلك، وهذا طيب ودال، أما أنه طيب فلأنه واقع، أما أنه دال، فلست أعرف على ماذا يدل؟ لكنه دال!!

جاءنى شفاهة من أكثر من مصدر **أنه لا داعى للالتزام، بجدول تقسيم أيام الأسبوع على مواضيع بذاتها.**

وأنا موافق (هل رأيتم سهولة التراجع الذى وعدتكم بها)،

كما جاءتنى آراء أخرى، أغلبها شفاهيا أيضا، أن باب **"سر اللعبة"** هو من أضعف أبواب هذه النشرة اليومية، مع أنه من أقربها إلى نفسى، وسوف أحاول أن أبحث عن أسلوب آخر لتقديمه، لكننى فى الوقت الحالى لن أرجع عن التمسك به،

وأخيرا جاءنى – شفاهة ثالثة – أن باب الحوار هذا هو **"أى كلام"** أيضا.

وأنا غير موافق.

والآن هيا إلى صديق مجلة الإنسان والتطور (الورقية) الأصلية، وهو صديق قديم جديد باستمرار: هو الابن الأستاذ يوسف عزب، وقد كَتَب تعليقات قصيرة على أكثر من أربعين يومية بعد أن ألححت عليه أن يساهم بأن أعطيته نسخة مكتوبة من كل ما نشر لحرصى على معرفة رأيه، ورأى صحبته، وقد اعتبرت أن هذه التعليقات مغتصبة برغم صدقها، لأنها جاءت بناء على طلب صريح وإلحاح سخيف (منّى)، فافتقدت التلقائية، ومع ذلك:

د. يحيى:
أهلا يوسف، لا أريد أن أشكرك على ما اضطُرَرتك إليه، ولكن شكراً.

أ. يوسف عزب:
...، أجمل ما أتصوره فى هذه اليوميات أنها للقارئ العادى.

د. يحيى
لست متأكدا هى لمن؟ خاصة بعد أن بدأت أكتب فى بابْ **الفصام والإدمان.**

أ. يوسف
أتصور أن هذا معيار لتقييم اليوميات (أن تكون للقارئ العادى).

د. يحيى
لا.. ليس هذا هو المعيار الأول، ولا الأهم. أنا لم أضع معايير بعد

أ. يوسف
دليل على ذلك (أنها للقارئ العادى) .... أننى قرأت ما يقرب من مائتى صفحة فى يوم ونصف ولم يتطرق إلى الملل مطلقا، بل على العكس كنت شغوفاً باللحاق بالباقى.

د. يحيى
هذا – يا يوسف – قد يشجعنى أن أجمع مادة كل شهر فى كتيب أو مجلة ورقية.

أ. يوسف عزب
– موضوع الحوار ذكّرنى بروح الإنسان والتطور فيما كنتم تفعلونه (فى باب الحوار)، ولكن هذه الروح وصلنى منها شئ سلبى وليس إيجابيا.

د. يحيى
أشرت فى مقدمة حوار اليوم إلى رأيك هذا الذى وصلنى شفاهة، وأنا لا أرفض أن يكون هناك شئ سلبى، ربما يرجع ذلك جزئياً إلى أننى أفتعل حوارا من خطاب، لكن هذا اضطرار كما تعلم اعتذرت عنه مرار، فماذا وجدتَ من سلبيات.

أ. يوسف عزب
(مثلا) ....فيما يتعلق بالحماس عند الرد، فقد اندهشت من الحماسة، "واحتمال أن يكون حسداً منى"، ولكن هل الحماس فى الرد سنة 1980 و 1985 و1990 هو هو الآن 2007، أعتقد أنه من أضعف ما فى اليوميات.

د. يحيى
.... هل تعنى أن الحماس هو الذى من أضعف ما فى اليوميات؟! هأنذا أرد عليك بفتور يا سيدى.

أ. يوسف عزب
يومية (2-9) "أعلى جبال الخوف" هى أساس ما تتميز به اليومية، وهى أروع ما أتوقع أن تكون هذه اليوميات له، وهو تحضير العلم والدين والدنيا والفلسفة فى **"اليوم الآن"** .... لو قدرنا نكمل على كده يبقى تمام.

د. يحيى:
ربما فهمت أكثر ما كنت تعنيه فى البداية من أنها

(اليوميات هى) للشخص العادى، لكن عندى أن ثم فرق بين **"تحضير العلم والدين والدنيا فى اليوم الآن**، وبين أن يكون المخاطَب هو أساسا **"الشخص العادى"**، صحيح أن كل اهتمامى هو هذا الشخص العادى، لكن هذا التحديد بهذه الصورة يجعلنى أحيانا أبسِّط ما لا ينبغى أن يتبسط، وأنا لا أريد ذلك، ولا أقدر أن أفعله فى كثير من الأحيان.

أ. يوسف عزب

يومية (3-9) "نستعمل الواقع لا نستسلم له" إن عبارة **"بمجرد أن يثبت الحق المؤقت تماما دائما، يصبح باطلا هو هو، لأنه ثبت فأوقف مسيرة الحق القادم"** أتصور أن هذه العبارة هى جوهر ما وصلنى من القرآن، والقرآن فقط.

د. يحيى

ياه!! هل أنا كتبت هذه العبارة هكذا، آسف؟ لكن ما علينا، أنا لم أفهم عبارتك "أن جوهر هذه العبارة هو ما وصلنى من القرآن، والقرآن فقط"، أنا مع فكرة أن القرآن الكريم هو مصدر إلهام متجدد، لقد فرحت بهذا الرأى جدا.

أ. يوسف

(لكن رغم صحة عبارتك هذه)، إلا أنها أعطتنى انطباعاً حزيناً، ذلك لأن الحركة والحياة بهذا المعنى لا تهتم بأحد، ولا تلق بالا أحد، ولا تتوقف عند أحد.

د. يحيى

الحركة هى قانون الحياة يا يوسف، إما أن نواكبها، أو أنها سوف تدوسنا، فماذا يُحزن فى ذلك، هيا نواكبها يا أخى، لأنها لن تنتظرنا، أنت الذى قلت "لاتتوقف عند أحد" (ولا لأحد يا أخى).

أ. يوسف عزب

يومية (5-9) "اختبار ذاتى لأستاذ بكلية الطب" الاختبار مخيف، وأعتقد فى ضرورته الحيوية الآن للكل، وليس للجامعة فقط، وهو يكفى كده من غير تطوير.

د. يحيى

تصور يا يوسف أنى فعلاً قمت بنشره لأنى شعرت أنه يصلح لأى واحد، وليس خاصا بأستاذ كلية الطب، ومع ذلك فإن **ابنتى أسماء نبيل**"..... تصورت أنه خاص بأستاذ الطب، ولها حق هكذا يبدو ظاهره..،

أ. يوسف عزب

يومية (7-9) "بدال ما نثور نفن" القصيدة رائعة ولكنها بدأت تتدهور ابتداء من "لما ألاقى الفكرة بايتة، لما ألاقى الفرصة فايتة" .. إلى أن قالت .. "أى فكرة حلوة يعتبروها بدعة" ورجعت ثانى رائعة

د. يحيى

لك رأيك، أنا لم أفهم كيف تدهورت القصيدة

، وهى أغنية وليست قصيدة على فكرة، أعدت قراءتها وسوف أنشرها فى الدستور قريبا باعتبارها أغنية للكبار خارجنا (بعد أن كنت أنشر أغانى للأطفال داخلنا)، حتى لو كانت تدهورت فى وسطها كما تقول!

أ. يوسف عزب
"حكاية بدل ما يثور يفن"

إما أنها حدْس عظيم لأمر غير مكشوف أو أنها تحتاج إعادة نظر، **ثم هل أنت فنان أم ثائر، تعتبر ما تفعلَه فن أم ثورة؟"**

د. يحيى
لست متأكدا، الفن (أعنى الإبداع)، إن كنت توافقنى، **هو ثورة مؤجلة، أو هو تمهيد لثورة قادمة قادرة** على أن تحتوى حماسها فى فعل معين، **والثورة هى فن تغيير الواقع، أعنى إعادة تشكيل الناس والحياة على أرض الواقع، بجرعة مكثفة من التغيير الجماعى.**

أ. يوسف عزب
يومية (18-9) "مع الناس فى رحابه" هذا الكلام الذى كتب عن الحج كتب فى أى وقت؟.

د. يحيى
لقد أثبتُ تاريخه منذ واحد وثلاثين سنة.

أ. يوسف عزب
وهل كانت الرؤية بهذا الوضوح فى هذا الوقت؟ وهو "ما تتميز به هذه اليوميات"

د. يحيى
أظنها كذلك، كما أظن أنها مازالت كذلك.

أ. يوسف عزب
يومية (23-9) "بعض وصف بعض مصر" عاوزه تكمل

د. يحيى
حاضر. ربنا يسهل.

أ. يوسف عزب
يومية (29-9) "إبداع الشخص العادى وإبداع المرأة"
الموضوع كبير قوى وما بينفعش يتم تناوله فى هذه المساحة الصغيرة جدا دى.

د. يحيى
أعتقد أن هذا من أكبر عيوب هذه اليومية، أحيانا أشعر أن أى يومية قد تصلح أن تكون عنوانا لكتاب، أو دعوة للمشاركة فى موسوعة، أشعر أحيانا أخرى أن كل هذه اليوميات هى مجرد عناصر أو بالتعبير العامى الجميل: **"فتْح كَلام"!!.**

أ. يوسف عزب
يومية (30-9) "الصوفية والفطرة" تعليقا على قولكم

أن الهدم هو مستمد من الجانب الإيجابي في العدوان وهو معنى الكسر عند الجنيد وليس العدم الذى يفاجئنا به ماسنيون صادما" اقول لسيادتك أن الذى قال هذا عن العدم هو الشيخ الجنيد بلفظه وليس ماسينيون؟.

د. يحيى
رجعت إلى الأصل والنص يقول: "إن رأى الجنيد إثبات ذات الله من خلال العدم أفضل من إثباتها من خلال الوجود، **يجعل ماسينيون يستنتج أن** العقيدة الإسلامية تميل بشكل عام إلى إثبات ذات الله من خلال الهدم، وقد أنهيت الفقرة قائلاً: ".... وبالتالى نفهم معنى الكسر الذى يقوم به الجنيد أو العطار **بمعنى غير العدم الذى يفاجئنا به ماسينيون"**، فأنا اعترضت على فهم ماسينيون للجنيد، وليس كما قلت أنت. أرجو مراجعة الفقرة كلها لو سمحت.

أ. يوسف عزب
هناك اعتراض آخر لتفسير سيادتك بأن العدم عند الجنيد ليس هو العدم السلبى، وأنه إعدام للثابت المعيق عن الحركة، وأنه هو العدم الذى يتخلق منه ضده، ليصبح وحدة أكبر فَعَدماً أنشط.

والاعتراض أنه فى تصورى أن إعدامنا للثابت المعيق لا يساوى أبدا العدم لأن الأول عمل إيجابى ثورى والثانى عدم، والأمر الآخر هو: كيف ننتظر أن يتولد من العدم ضده، ثم نفاجأ بعدم آخر؟

د. يحيى
إعدام الثابت المعيق أو تفتيته حتى يتفجر من عدمه وجودٌ جديد هو عملية رائعة متداخلة، فالعدم لا يوجد أبدا بالمعنى السلبى الذى نتصوره دائما.

أ. يوسف عزب
يومية (1-10) "مستويات الوعى وأساطير المتصوفة" عمل رائع وجميل ولكنه يؤكد هنا خطورة فتح الموضوعات الضخمة الخطرة دون قفلها.

د. يحيى
لا.. لا.. لا...، علينا أن نفتح كل الموضوعات مهما بلغت ضخامتها، ومن يريد أن يقفلها يقفلها على مسئوليته، هذه المواضيع لا تقفل أبداً.

أ. يوسف عزب
يومية (5-10) "حوار الجمعة" هو المقصود دكتور أسامة عرفة أم أسامة رفعت، وعندى اعتقاد أن كلام د. زكى سالم حدث له تشويه عند التقطيع.

د. يحيى
لا طبعا، هو د. أسامة عرفه، وهو أحد أبنائى الأكبر، فى السعودية الآن، أما إبنى الأصغر أسامة رفعت فهو صاحب

الفضل فى بداية تسجيل ما أقوم به من علاج جمعى فى قصر العينى بالصوت والصورة منذ حوالى عشر سنوات"بإذن المرضى طبعاً"، وللاثنين فضل علىّ متجدد أبدا، أما الابن د.زكى سالم، فقد احتجب عن التعليق، برغم أنى استشهدت به مراراً، وأتمنى ألا يكون رأيك فى تشويه تعقيبه صوابا، وله الكلمة الأخيرة.

أ. يوسف عزب
يومية (9-10) "الطفل الخاص" من أروع ما قرأت، وأروع منه رد طاغور، والأبدع من الكل هو عدم تعليقك عليه.

د. يحيى
معك حق فى الجملة الأخيرة بالذات، كثيرا ما أشعر أن عدم التعليق، هو أعظم ما نخدم به المقتطف، وأحيانا العكس،

هلا تفضلت معى الآن يا يوسف نستمع إلى زميل كريم يسأل تحديداً عن حلقة الإدمان، وهذا بعض ما يشجعنى أن استمر.

د. خليل محمد عبد الفتاح
يومية (23-10) (أدمغة المدمن ومستويات الوعى)

ربما يكون من الصعب على من يقرأ هذه اليوميات استيعاب المراد بها دون شرح وافٍ لافتراضات الكاتب مثل تغير الوعى و التعتعة؟

د. يحيى
عندك حق، لكن اليوميات تكمل بعضها بعضا، ويستحيل أن أعيد تعريف أبجديتى مع كل يومية. عذرا.

د. خليل محمد عبد الفتاح
لم أعرف من هى الفئة المقصودة بهذه الكتابة: الأطباء المتخصصين أم المدمنين أم العامة؟

د. يحيى:
ولا أنا ....، راجع ردّى على الصديق يوسف عزب فى أول حوار اليوم.

د. خليل محمد عبد الفتاح
كطبيب متخصص احتجت أن أعرف المزيد من المعلومات عن المريض وتحديدا معلومات عن علاقاته المختلفة وعن سمات شخصيته؟

د. يحيى
لك حق من حيث المبدأ، لكننى نبهت من البداية أننى أقدم بعض **"أحوال حالة"**، وليست **مشاهدة مطولة لتاريخ حالة**، ولقد أكدت ذلك لاحقا وأنا أكتب عن الفصام (حالات وأحوال أيضا)، إن تقديم تاريخ أربعة حالات فى الإنسان والتطور، (كانوا إخوة)، استغرق منى أكثر من ثلاثمائة صفحة ستنشر فى كتاب قريباً، أرجو أن نتعود معا أن نقرأ **"الأحوال"** مقتطفات دالة فى ذاتها، وإلا ستضيع منا الفائدة المحددة من هذا المنهج الانتقائى بالذات.

د. خليل محمد عبد الفتاح:
اعجبتنى كثيرا فرضيه أن التوقف عن الإدمان ثم العودة تمثل نوعاً من التغيير الذى يُحدث متعه عند المدمن، لقد فسرتْ عندى بعض السلوكيات التى رأيتها عند المدمنين.

د. يحيى
وأنا كذلك، والابن الدكتور كريم كذلك، والفضل هو لذكاء وحدّة وعى وسلامة تعبير هذا الابن المدمن ذى السبعة عشرة عاما، فهو الذى علمنا كل هذا، لننتبه أن الدماغ هو **"ليس وعيا آخر"**، بقدر ما هو **"حالة التغيّر إلى وعى آخر"**.

د. خليل محمد عبد الفتاح
لم افهم فرضيه تفسير استمرار المدمن فترة طويلة على نفس المادة

د. يحيى
عُلمنا أيضا نفس الابن، أن الاستمرار على نفس مادة التعاطى قد يثبّت الوعى الذى تغيَّر فسكن حتى يَفْتُر، فيضيع منا **"الوعى بهذا الوعى"**، **"حالة كونه يتغير"**، فلا يعود يعمل **"دماغ"** الذى هو هدف المدمن..، وبالتالى فالمدمن إذا وصل إلى هذه الحالة، فهو إما أن يغير المادة، أو يتوقف ليعود – كما لاحظت أنت تعليقك السابق.

د. خليل محمد عبد الفتاح
برجاء تخفيف بعض الألفاظ المستعملة مثل التعليق على الصورة الخامسة لأنه ليس من السهل على البعض تقبل استعمال هذه الالفاظ على الملأ.

د. يحيى
لا طبعا...، لا أوافقك..

كلام المرضى هو كلام المرضى، وكلام الناس هو كلام الناس، وقد تشوه التراث واختُزلَ من كثرة التحذير مِنْ مثل هذا الخطر، ودعك من حكاية **"خدش الحياء العام"**، الحياء العام والحياء الخاص لا تخدشه هذه الألفاظ إلا إذا كان زائفا أو هشا، الحياء تخدشه أشياء أخرى أرق وأخبث وأكذب.

د. خليل محمد عبد الفتاح
لاحظت عدم التعليق على اختلاف الزمن الذى استغرقه المريض فى التعليق على كل صورة

د. يحيى
عندك حق، وإن كنت قد ذكرت أن الزمن الذى استغرقته المحاولة الثانية (الاستجابة بعيدا عن الانشغال بالإدمان) كان- بصفة عامة – أقصر.

د. خليل محمد عبد الفتاح
أحسست ببعض المبالغة والشطط فى افتراض مغزى تعليق المريض

على الصور، ومع ذلك أرى أن هذه الطريقة مفيدة من ناحيه المبدأ فى فهم المريض ووضع خطة علاجية له.

د. يحيى:
يجوز..

ولكن هذه هى طبيعة تفسير الاختبارات الإسقاطية عامة: إسقاط على إسقاط، ومن حقك أن تسقط بدورك فيكون إسقاط على إسقاط على إسقاط، لا يوجد رأى واحد نهائى فى قراءة استجابة الناس والمرضى.

د. خليل محمد عبد الفتاح
نهايةً أرى (أنه توجد) فائدة من الاستمرار من تقديم مثل هذه الحالات مع بعض التنقيح؟ ومعذرة على الإطالة والجرأة فى النقد.

د. يحيى
... يا رجل جرأة ماذا؟ أشكرك بجد، إن فضل هذا الموقع هو أنه عرفنى بك وبأصدقائنا هكذا، وهذا هو الإبن الذى صمم الموقع ويتابعه واسمه إسلام أبو بكر، يريد أن يشارك فى الحوار.

أهلا إسلام

أ. إسلام أبو بكر
يومية (21-10) "س و ج عن الإدمان"

.... أتابع النشرة يوميا ولكنى أجد فى الرد شيئا مقدسا يجب له تحضير الطقوس، والطقوس هنا ورقه وقلم وذهن يقظ.

د. يحيى
يا عم إسلام .. مقدس ماذا؟، وطقوس ماذا؟! هات ما **عندك** على البركة، على فكرة هذه فرصة لأشكرك على فضلك فى إعداد الموقع هكذا، وأنتهز فرصة لأقدمك للناس بصفتك هذه، فلولا مهارتك وانتماؤك وجهدك، ما وصل كل هذا للناس.

أ. إسلام أبو بكر
(أدمغة المدمن ومستويات الوعى)

عنى، لم يحدث لى أن وصلت لهذه الأدمغة من قبل عن طريق وسائل الإدمان المختلفة ولا مرة ولكني أصل لها في بعض الأوقات التي اعتبرها تجارب شخصية عمومية شمولية.

د. يحيى
.. أتذكر أننى لم أقل **"إن قمة الإبداع"** هى الدماغ العالية، وأوضح نفسى من جديد هنا كالتالى:

إن ما يسميه المدمن **الدماغ العالية**، وهو ربما **مايحققه تحريك أكثر من مستوى من مستويات الوعى "معاً"**، هو ما يقابل حالة **الوعى الفائق** التى يعيشها المبدع ليؤلف

تشكيلا جديداً من هذه المستويات فى جدل خلاق، وحين أقول **"يقابل"** لا أعنى يرادف، ففى حين يعملها المبدع، فيحرك فينا مستوياتنا معاً إذا أحسنا التلقى، لنبدع إبداعه، يتوقف المدمن عند دماغه العالية، ويروح يدور حولها وحول نفسه نازلا إلى الهاوية دون أى إبداع يا إسلام.

أ. إسلام أبو بكر
أنا لا أعتقد أن قمة الإبداع هو بالوصول الى الدماغ العالية.

د. يحيى
ما هذا يا إسلام؟ هل أنا قلت ذلك؟ أرجو أن تقرأ الحالة من جديد، ثم إننى سأواصل النشر فى ذلك حتى نتعرف على أبعاد هذا الفرض الذى أعود فأوجزه كالتالى **".. إيش رماك على "الدماغ" الذى تحققه لك المخدرات والمنشطات، قال قلة فرص "عمل دماغ" طبيعى نظيف جميل.**

أ. إسلام أبو بكر
يوما ما سألت نفسى: كيف أن الإنسان يظل هو، وهل يبقى هو وللأبد هو نفسه، هو نفس الجسد ونفس الوجه كل يوم، على أنه فى داخله واحد أو أكثر، ومع ذلك فى جسد واحد، مع ملاحظة وجود حركية الوعى هنا.

د. يحيى
أنا أفرح بذكاء السؤال أحيانا – بل كثيرا- أكثر من فرحتى بسداد الإجابة، لعل مهمة هذه اليومية، بل مهمة وجودنا كله هو محاولة الإجابة (الناقصة حتما) على هذا السؤال، سؤالك ذكى فعلاً يا إسلام، ولذلك سوف أتركه "هكذا" دون إجابة، هل له إجابة؟ ألا يكفى السؤال.

أ. إسلام أبو بكر
ماذا لو أحس الشخص انه ليس من **"هنا"**، وأنه من مكان أخر، سوف يرجع له قريبا قريبا ولكن هناك شيء يجب تحصيله والرجوع لمكان الأصل.

د. يحيى
يقول أحد المتصوفة (لا أذكر مَنْ) **"كل من انفصل عن أصله يطلب أيام وصله"**، لقد نسينا أن هذه الحركة هى الأصل، وأن تشكيل الذات المستمر (وليس البحث عنها، أو الزعم بتحقيقها) هو قانون الفطرة التى علينا أن نحسن دراسة قواعده ليتحقق، وأن الرجوع لمكان الأصل لابد سيوجهنا إلى وجه الحق سبحانه وتعالى .. دون أن نصل أبداً بالمعنى الساذج، فالتوجّه نفسه هو غاية السعى وليس الوصول.

أ. إسلام أبو بكر
(**ردّا** على تساؤلك فى نهاية الحالة)

"وهل خَلَقَنا الله بدماغ واحد (مِبَطّل) أم بعدة أدمغة". سوف أحاول الإجابة عن نفسى قائلا:

".... بعدة أدمغة بالطبع وإلا ما حركنا وعينا على مدى التاريخ البشرى بداية من الدين الى علوم التكنولوجيا".

د. يحيى
شكراً ،

وشكراً لاقتطافك ما أنهى به حوارى معك اليوم (وعذراً لحذف الباقى)، أنت الذى اقتطفت قولى:

.... ومادام الحصول على دماغ عن طريق هذه السموم له كل هذا الثمن الغالى، فكيف يمكن أن تحصل \"بقية أدمغتنا\" على حقها فى التواجد، والتبادل، والتنشيط، والإبداع، والتراجع، والمحاولة، والخطأ؟، ثم نترك السؤال مفتوحا، فما جعلت هذه اليومية إلا لهذا.

والآن هيا معى يا إسلام لتحية أكثر الأصدقاء انتظاما فى التعليق،

أهلا رامى ، **كنتُ قد خشيت عليك ألا تكون ملتزما بعملٍ يومى.**

رامى عادل
.... أنا باعشق الشغل اليومى، وهو ركيزة أساسية لحياتى وحياتنا جميعا، ومن غيره ماقدرش ألَم الدور.

د. يحيى
شكراً يا رامى، ثم دعنى أذكرك بفضل هذا التقديس للفعل اليومى على مسيرة شيخنا نجيب محفوظ، ثم أحيلك إلى رائعته **"حضرة المحترم"** التى أسهمت فى توضيح ما هو الفعل اليومى حتى يصل الأمر إلى تقديسه مع تحذيرنا من أن نصل إلى شطح "حضرة المحترم" حتى التأليه!!، ثم أحيلك أخيراً لفصل كامل فى كتابى **"حكمة المجانين"** بعنوان **"قصائد مديح فيما لا يُمدَح"** .... مثل العقل البسيط والروتين

رامى عادل
يومية (28-10) (سد هارتا)

أبى العزيز: كلامك ضحّكنى وبكّانى بكّانى، ... جحود ونكران جيل بل قل أجيال، ... أنت حواليك ناس كتير وبتشتكى من الوحدة ومرارتها..؟

د. يحيى
ما هذا؟ ما هذا يا رامى؟ أشكرك من حيث المبدأ، لكننى آسف إن كان قد وصلك مثل هذا المعنى، لعلنى أسأت التعبير، لا يوجد جحود يا رجل ولا نكران جميل، أنا حولى كل الناس، حتى من ينكرونى أو يتنكرون لى، وأنا لا أشكو من الوحدة، أنا أفرح بالوحدة إذا فرضت علىّ، وأفرح بك إذا كسرتها، **"الوحدة" هى الذراع النشط فى "رحلة الذهاب، والعودة" للموجود البشرى، وهى رحلة لا تتوقف أبدا، حتى ظننت أنها لا**

تـتـوقـف حتى بـالـمـوت، ثم إن الـوحـدة لـيـست مُـرِّة على طول الخط.

هيا معى الآن يا رامى إلى الابن د. أسامة عرفة.

د. أسامة عرفة
يومية (25-10) (حلم رقم 3)

" أتوقع أن يصدر عمل يقرأ الدكتور يحيى الرخاوى من خلال قراءته هو لأحلام الأستاذ .. لكن يا ترى هذا الذى سيقرؤك سيقرؤك أنت، أم أنه سيقرؤك من خلال قراءته لك؟ ثم نقرأه (نحن) من خلال قرائتنا له وهكذا.

... حاجة كده زى طُبقنا طبق فى طبقكو، يقدر طبقكو يطبق فى طبقنا ... وهلم جرا؟

د. يحيى:
حلوة هذه يا أسامة .

أنا موافق.

د. أسامة عرفة:
يومية (28-10) (سد هارتا)

"... جاءتنى دعوة حضور **"الندوة الشهرية"** بالبريد الإلكترونى، ولجهلى الشديد بتكنولوجيا الاتصالات افترضت أنه لابد أن تكون هناك وسيلة تقنية بسيطة تسمح لى بالمشاركة فى حضورها عبر الإنترنت.

اللهم أجعله خير.

د. يحيى:
إن شاء الله خير، آمل يا أسامة أن يتحقق أملنا هذا، وقد علمت أن ذلك ممكن بدلا من المؤتمرات المشبوهة التى ترعاها جهات مشبوهة، وقد سبق أن قلت لك أننى أتعجب مِنْ مَنْ يدعونى لحضور مؤتمر فى آخر الدنيا أتكلم فيه نصف ساعة محاضرة افتتاحية تكلف الذى يصرف بخبث على هذا المؤتمر عشرات أو مئات الآلاف من الجنيهات، ولا تتم بعد المحاضرة مناقشة جادة، من أين الوقت يا أسامة؟ أقارن هذا كله بعدد الزملاء الأفاضل الذين يشاركون أو قد يشاركون فى الاطلاع على هذه اليومية، ولو عينة من هنا وفقرة من هناك، وعندهم الفرصة للسؤال والإجابة، كأنه مؤتمر يعقد يومياً، والدعوة عامة، ولكن لا حس ولا خبر كما ترى.

دعنا نأمل يا أسامة فى تكنولوجيا الاتصالات أن تتجاوز وصاية تلك السلطات المشبوهة التى تنظم المؤتمرات لأغراضها الخاصة ثم هيا معى نختم بابن أخى الذى أنتظر منه أى جديد مهما تمادى فى التكرار.

د. محمد أحمد الرخاوى
يومية (31-10) (وعد بلفور)

....لا نستطيع أن نسامح الغرب حكاما وشعوبا، وقد عشت

وسطهم على كل هذا الظلم والجبروت؟

د. يحيى
أظن يا محمد، مع حبى الشديد لك، واحترامى لمحاولتك، أننى سوف أكف عن حوارك إذا أصررت على موقفك الخطابى التعميمى هذا، هكذا، تُسامِحُ من يا عَمّ، دعنا نعمل ونبدع، ربما نضيف إلى من يعملون ويبدعون عندهم، أما السلطات المشبوهة هنا وهناك، فهى تحمل مقومات هدمها. وحينئذ سيحتاج الناس إلى كل ما يحاوله كل الناس الآن شرقا وغربا.

د. محمد أحمد الرخاوى
....بالمناسبة أيام افتتاحيات الإنسان والتطور الورقية كنت تعرج على الأحداث المحلية والعالمية فلم لا تخصص على الأقل جزءا من اليوم الحر لذلك؟

د. يحيى
عندك حق، لكن ربما أجد لهذا مكانا آخر، وقد نبهنى الابن مصطفى حسن لمثل ذلك فى أول حوار نشر هنا يوم **2007/9/17**، حين قال كلاماً مطابقاً لما قلت تقريبا، ورددت عليه بأننى لا أرفض، ولا أعد، ولكل مقام مقال، وأنا حتى الآن لم أحدد أين تقع الهموم اليومية (التى أشرت إليها أو أشار إليها مصطفى) أو الأحداث المحلية والعالمية من هذه اليومية تحديدا، دعنا ننتظر ونرى، دع ذلك ولنعد لما ورد فى اليومية عن أمر آخر.

د. محمد أحمد الرخاوى
يومية (30-10) (الفصام)

المسألة أعقد من كل ذلك: فقدان التوجه الضام كما سميته أنت أخرج كل ذرة من مدارها بحيث تداخلت الذرات وتناثرت بخروجها من الدوران حول النواة (التوجه الضام).

د. يحيى
إذن ماذا؟

د. محمد أحمد الرخاوى
أرى أن من أهم أسباب تخلفنا وغبائنا ومرضنا هو هذا القهر والغباء والكذب، وكأننا لا نفرز إلا مزيداً من جيوش المرضى النفسيين فعلا أو المرضى المدمرين لأى وجود صحيح سوى؟

د. يحيى
طيب، وبعدين يا محمد، إسمع لمّا أقول لك، أكبر بناتى د.ماجدة صالح، تصورت من يومية "سد هارتا" أنى آخذ على خاطرى، فقالت كلاما طريفا يخفف من سومك هذه، هل تسمعها معى؟

د.ماجدة صالح

(الـنـدوة)

يـاه يـا دكـتـور يحيى! أنـت صحيح مقـموص ولا وجدت الـبـديـل الـيـومـى (عن الـنـدوة)؟ ربـنـا يـطـولـنـا فى عمرك.

د. يحيى

وهل أنـا أستطيع يـا مـاجدة ؟! (هوّا أنـا أقـدر)، سوف أكـتـب يـومـا عن **"حق الـقـمـصْ"** كحق أساسى من حقـوق الإنـسـان المنسية مـثـل: **"حق الـعـوزان"، و"حق الـضعف" و"حق الـشوفـان".**

السبـــــــت 03-11-2007

64 – مقتطف وموقف من كتاب:سلطان الأسطورة جوزيف كامبل

المتقطف: ص 130

كامبل

".... كان Black Elk "الأيل الأسود"، كان صبيا من قبيلة Sioux (من داكوتا الشمالية) وكان الصبى حينذاك فى حوالى التاسعة من عمره، وقد حدث هذا له قبل أن تواجه الفرسان الأمريكية القبيلة التى كانت أقوام شعب السهول الكبير .

الذى حدث أن الصبى مرض نفسيا، وتحكى عائلته قصة الشامان التقليدية، فقد بدأ الصبى يرتجف ثم أصبح لايتحرك من أسفل، وانزعجت عائلته عليه جداً وأرسلت إلى الشامان الذى كان عنده تجربة من هذا النوع فى صباه، وطلبوا منه أن يحضر كمحلل نفسى وأن ينزع الصبى من حالته، ولكن بدلا من أن يخلص الصبى من القوى الإلهية فإن الشامان حاول أن يجعله يتكيف مع هذه القوى، وأن يجعل القوى تتكيف معه ، وهذه مشكلة مختلفة عن مشاكل التحليل النفسى ، وأظن أن نيتشه هو الذى قال: "احذر فى إخراجك للشياطين أن تخرج أفضل شئ فيك" . هذه الآلهة التى واجهها الصبى ولنسمها "قوى" تم الاحتفاظ بها وبقيت الصلة معها بدلا من أن تنقطع، مثل هؤلاء الرجال يصبحون بعد ذلك هم الذين يقدمون النصيحة والهدايا لأقوامهم.

الموقف

(1) حكى جوزيف كامبل هذه التجربة، لصديقه المقدّم (المحاور) "بيل موريز" وهو يحاول أن يجيب عن تساؤله عن "قدرة الشامان على مساعدة المرضى"، نتيجة لمرور الشامان نفسه بتجارب مماثلة سابقة، كان موريز يسأل فى الصفحة السابقة (129): "وهذا الشخص الذى حدثت له هذه التجربة النفسية، تجربة الصدمة وهذه النشوة، هل سيصبح المفسر للآخرين؟ فأجاب كامبل: إنه قد يصبح المفسر للتراث الميثولوجى للحياة .. (ثم حكى هذه القصة قصة الصبى الأيل الأسود)، وكامبل هنا لا يدافع عن موقف، ولا يدْعو لبديل، لكنه يدعونا للتأمل.

(2) نلاحظ أن اساس المعالج هنا هو خبرته السابقة بتجارب مشابهة وخروجه منها إيجابيا.

(3) لا يحاول الشامان أن يطرد هذه القوى التى تلبست الصبى (عكس ما يفعله أغلب المعالجين الشعبيين الآن وهم **يطردون** الجان)

(4) كامبل سمَّى هذه القوى باسم "القوى" فقط، وأحيانا باسم **"القوى الإلهية"** وهى التى اعتبرها **الشياطين، وهو** يستشهد بنيتشه، فهل هذا يعنى شيئا؟ لماذا الأساطير، وبعض التصوف تستعمل هذه الكلمات بالتبادل هكذا؟

(5) إن استشهاد كامبل بقول نيتشه **"احذر فى إخراجك للشياطين أن تخرج أفضل شئ فيك"** لا يعنى بالضرورة دفاعاً عن الشياطين، التى تسمى فى الأساطير أحيانا آلهة، بل إن ما وصلنى هو أن كل هذه التسميات إنما تشير إلى "القوى الأخرى" بداخلنا التى لا نكتمل إلا بها، ربما مستويات الوعى الأخرى، أو حالات الذات الداخلية"

(6) إن أغلب العلاجات الشعبية تكاد تفهم الطبيعة البشرية وتركيبها المتعدد أكثر عمقاً، **وعلماً من الطب النفسى الاختزالى الميكنى**، الذى يلجأ عادة إلى ما هو ألعن من إخراج الجان أو التصالح معهم، حين يقتل هذا الجزء الأقدم (الوعى الآخر) من المخ لمجرد أنه ثار من طول المنع والقهر، ثار مستقلا حتى بدا خطرا على الواحدية oneness **(أن يكون المرء واحداً لا أكثر فى لحظة بذاتها)** إن ما يفعله التداوى الشعبى فيه حوار ما، أما هذا القتل بالكيمياء طول الوقت طول العمر فأمر آخر. (وهذا لا يعنى تفضيل التداوى الشعبى عن فن التطبيب. أنظر بعد).

(7) إن الشامان – فى قصة كامبل – حاول أن يجعل الصبى **يتكيف مع هذه القوى**، وهذا لا يكفى من وجهة نظرى، لكنه حاول أيضا أن يجعل **هذه القوى تتكيف معه.**

(8) إن كل ذلك، وهو موجود هكذا فى الأساطير، وقد اقتطفه كامبل ليستشهد به هنا، إنما يشير إلى ضرورة إعادة النظر فيما يسمى الطب النفسى الحديث، لا لنستبدل به التداوى الشعبى العشوائى، ولكن لنحترم من خلاله الطبيعة البشرية، بعد أن نفهمها من خلاله أيضا.

(9) إنه ينبغى إعادة النظر فى محاولات الطب الشعبى التخلص من هذه القوى، حتى لا تكون النتيجة وجودٌ مختَزل، تماما مثل الذى حذر منه نتيشه **"تُخرج أفضل ما فيك".**

(10) إن الطب النفسى التطورى (من منظور تركيبى هيراركى إيقاعى) لا ينكر هذه القوى حتى لو صدرت فى صورة أعراض خطيرة مثل الهلوسات السمعية مثلا (سماع أصوات لا وجود لها) وفى نفس الوقت هو لا يحاول أن يحترمها لدرجة تبرر الجنون أو تسهم فى التفسخ وفقد الواحدية oneness، **وإنما يتدخل المفهوم الطبى التطورى التركيبى المرن للحد من غلواء هذه القوى** (ولو بالعقاقير مؤقتاً، خاصة العقاقير التى يستعملها لأنها تعمل انتقائيا على المخ الأقدم)، **ثم هو يحاول أن يتمكن من إعادة إطلاق هذه القوى مع غيرها فى الاتجاه الصحيح** بعد أن يكون قد توصل مع المريض إلى

احتمال استئناف المسار (معا) ليس فقط مع الطبيب أو المعالج، وإنما مع مستويات الوعى بعضها مع بعض.

(11) فى العلاج المكثف الأعمق، وفى العلاج الجمعى النمائى قد نجرى تمثيلية صغيرة mini-drama مع هذه القوى، ونكلمها ونتبادل معها الأدوار ليس باعتبارها آلهة أو شياطين، أو جانا وإنما **باعتبارها ذواتنا الأخرى"** التى أنكرناها بوسائل متعددة منها الطب الميكنى الحديث!!.

(12) على الرغم من فرحة كامبل – كما وصلتنى – بدور الشامان الذى يحاول أن يجعل الصبى يتكيف مع تلك القوى، وأن يجعل القوى تتكيف مع الصبى، والتى ترجمتها أنا إلى محاولة تنظيم وتصالح مستويات المخ (مستويات الوعى = ذوات الداخل) مع بعضها البعض على الرغم من كل ذلك، إلا أنى أجد فى نفسى ميلا للتحذير أن يكون هذا هو غاية المراد من العلاج.

(13) أحيانا نكون مضطرين إلى فض الاشتباك، مثلما فى الهدنة أو معاهدات الصلح، وضمان عدم الاعتداء مؤقتا، لكن الأفضل – ما أمكن ذلك – هو أن يكون هذا الاجراء المؤقت نوع من التكيف وهو مرحلة جيدة، تنطلق بعدها، ومن خلالها مسيرة النمو (الممتدة حتى الموت وربما بعده) فى جدل متصل مع كل المستويات مهما بدت متناقضة.

(14) أذكّر مرة أخرى، دون تفسير علمى، أن "زكّاها" = (تعنى) "نمّاها"، وليس رجّح أحد شقيها،

(15) وإنما يتم الاحتواء "لفجورها وتقواها"، لصالح استمرار حركية النمو إلى وجه التناغم الأعظم إليه كدحا (جدلا) لنلاقيه.

وبعـــد

أعرف أن مسألة تعدد الذوات، وتعدد مستويات الوعى، وتعدد تركيبات المخ تحتاج أكثر كثيراً جداً من كل هذا، وسوف نعود إليها مئات المرات.

بينى وبينكم

وهل صدرت اليومية إلا لهذا.

– **سلطان الأسطورة:** جوزيف كامبل (مع) بيل موير، وهو حوار دار بينهم بين عامىْ 1985 / 1986، ترجمة بدر الديب / سنة 2002 فى سلسلة المشروع القومى للترجمة.

الأحـــــــــد 04-11-2007

65- حـــــــالات وأحـــــــوال (عـــن الفصـــــام..)

....الفطرة، والقشرة والانشقاق

بعض أحوال: حالة عصام، (الجزء الثانى)
(وليس بالضرورة: حالة فصام:؟؟؟)

انتهى الجزء الأول، ولم يكتمل تقديم أحوال عصام بعد، لكن الحلقة الأولى انتهت بفرض مبدئى متعدد الخطوات

وقبل أن أواصل تقديم ما يثبت أو ينفى أو يعدل هذا الفرض، وجدتُنى قد استعملت فيه كلمتين غير مألوفتين فى الطب النفسى أو علم النفس، وهما كلمتى **"الفطرة"** و **"القشرة"**، فكان لزاما على أن أبحث، ثم أحاول أن أوضح ما أعنيه بهما، بالإضافة إلى كلمة ثالثة تمثل إشكالا علميا وطبيا ومعرفيا أيضا هى كلمة **"الانشقاق"**، فكان هذا الاستطراد – أغلب يومية اليوم – لنعود غدا إلى تطبيقه فى حالة أحوال عصام.

قبل أن نقدم هذا الاستطراد، ومع أننا لن نتعرض كثيرا إلى ما عرضناه فى الحلقة السابقة، ننصح الزائر (القارئ) أن يرجع **للجزء الأول (يومية30-10 حالات وأحوال طب نفسى "الفصام")** حتى يستطيع المتابعة، وبالذات بالنسبة لحلقة الغد، أكثر من اليوم.

سوف نعرض الفرض كما ذكرناه فى الحلقة الأولى بألفاظه
ثم نناقش ما جاء فيه فقرة فقرة

حتى إذا ما أتى موقع الاستطراد، فسوف نتطرق إليه، ثم نعود للحالة غدا

الفرض (كما جاء فى نهاية الحلقة الأولى)
أولا: عصام شاب نشأ فى أسرة مزدحمة شكلا، مُفرْغة موضوعاً، تفتقد إلى أى دفء حقيقى يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لايوجد بها تاريخ عائلى إيجابى لمرض نفسى أو عقلى خطير، الوالد حاضر حضوراً جافا ملتويا، يعلمّ (عصام) وهو الأقرب إليه من الأولاد التجسس على إخوته، ثم لاحقا –بعد مرض عصام– تقوم "أخته الأصغر" بهذا الدور

الأم ضعيفة سلبية متنحية مقهورة، جافة

ونضيف الآن عن الأم: لكنها تعرف طريقها فى حدود دورها الظاهر والخفى

وقد تم وصف الام كما أوردناه هنا من المعلومات والانطباعات والأحداث التالية:

(1) هى امرأة مصرية تقرأ وتكتب بالكاد، والدها فلاح وأسرتها فقيرة كبيرة العدد،

(2) رفض الأب السماح لنا بالتحدث مع الأم – بشأن المريض – ولو هاتفيا

(3) رفض الأب ذكر اسمها أصلا

(4) **وصفها الأب بأنها: "هادية، وحنينة، ومؤدبة، وأمينة، ومخلصة،** ثم أضاف: لكنها عنيدة، فى بعض الأمور: يعنى تعمل حاجة من غير ما أقولها، أو أقول لها على حاجة وماتعملهاش !!! (لاحِظ رفض الأب لأى احتمال لتلقائية الأم فى الجملة الأولى على الأقل!) وهو يضيف فى موقع آخر: ما كنتش عايز أتجوز خالص، لكن قلت اتجوز عشان حد يخدمنى. ثم "..كانت بتزعلنى، أحيانا وأقولها إنت جاهلة ما بتفهميش"،

(أضاف عصام لاحقا فى مقابلة منفصلة أن الأم كانت تقول لوالده أحيانا ردا على ذلك: "وانت عملت إيه بالبكالوريوس بتاعك".)

(5) **وصف عصام أمه** وصفا أكثر تعرية وشجبا كالتالى **" ست جاهلة طبعا، مش نضيفة، قذرة ، تحب تتباهى قدام الجيران بالأكل والشرب وهى معروف أساسها، شحّاتة بنت شحاتين، تِوَقّع الناس فى بعضها، بتحسد الناس، والناس بتحسدها لأنها فى نعمة مش بتاعتها"**

هذا الوصف لم يكن يجرؤ عليه عصام قبل المرض

(راجع وصفه للوالد فى الحلقة الأولى)

هذه هى الأم، وذاك هو الأب وقد أنجبا عصام، ثم ماذا ؟

نرجع إلى الفرض

(محوّر للتوضيح) عصام ، مثل أى واحد منا، – ولد كما خلقه الله، فهى **الفطرة**– لكن أحداً لم يتعهدها لا بما هى، ولا بما يمكن أن تكون، ، هذه الفطرة تغطت **بقشرة** (سلوكية) تربوية لامعة، لكنها – **الفطرة** – ظلت تتعامل من وراء **القشرة** مع ما يصلها من بَـرْمجة بطريقتها البسيطة الصحيحة.

(هذا ما جاء فى فرض الحلقة الأولى)

بالذمة هل هذا كلام؟ ما معنى: **" لكن أحدا لم يتعهدها – لا بما هى ولا بما يمكن أن تكون؟**

كلام كبير بلا معنى تقريبا، فنحن لم نحدد ما هى الفطرة أصلا، وبالتالى، وأيضا: نحن لا نعرف ما يمكن أن تكون، وذلك برغم كل ما يقال فى التربية وعلم النفس، والطبيعة

البشرية، والتركيب التحليلى، وما إلى ذلك **(علما بأن الأساطير وبعض الفلسفة، والتصوف الحقيقى، وكثير من الإبداع تعرف الإجابة أحسن!!)**

هكذا شعرتُ بلزوم الاستطراد للتوضيح الواجب لكننى بعد أن كتبته وجدت أنه صعّب المسألة أكثر وفيها ماذا؟
هذه هى طبيعة هذه اليومية:

وقد نستغرق عاما أو أكثر – يوميا- لتوضيح ما يمكن، وقد نستغرق العمر كله.

نعم،لكن لا بد من بداية، مادمنا قد تورطنا فى وضع فرض لتفسير حالة/أحوال عصام، استعملنا فيه كلا من **الفطرة والقشرة**، الأمر الذى لا بد أن يعرج بنا إلى مسألة **الانشقاق**

الاستطراد والتنظير

سوف نبدأ بـ الفطرة، لننتهى بأحد أشكال التعامل معها بالانشقاق المغترب الثابت وهو ما أسميناه "القشرة":

الفطرة ليست هى أيا مما يلى

1) **ليست هى** اللاشعور الفرويدى
2) **ليست هى** البدائية
3) **ليست هى** براءة الطفل (خارجنا أو داخلنا)
4) **ليست هى** الحدْس العشوائى
5) **ليست هى** فجاجة التكوين البشرى فى ذاته (الغرائز منفصلة)
6) **ليست هى** ***"شيئا محددا" أو "مفهوما ساكنا"***

فماذا يمكن أن نعنى حين نستعمل كلمة "الفطرة" إذن؟ (دون ادعاء أننا أحطنا بما تعنيه بالقدر الكافى)

دعونا نزعم مرحليا ما يلى

(1) الفطرة هى ***"حركة فى اتجاهها"*** يا خبر!!! ما معنى ذلك؟ فى اتجاه ماذا ؟ فى اتجاه الفطرة ذاتها: التى هى حركة أصلا.

(2) **مجرد أن تفكر فى الفطرة وأنت فى الوضع ساكنا، فسوف تجد نفسك بعيدا عنها!**

(3) الفطرة هى التنظيم الأساسى لكلية الوجود بطبقاته المُرَتّبَةْ هيراركيا، النشطة، المتبادلة، النامية، فى دورات.

(4) الفطرة **لا تنفصل عن الوجدان والجسد من ناحية**،

(5) هى تتجلى فى **العقل** (والمنطق) **والسلوك والأخلاق والإيمان والدين والإبداع** من ناحية أخرى

(6) الفطرة هى **"كلٌّ"** مشتمل، بحيث تحوى أجزاءَها، ولكنها لا تحل محل أىٍّ من أجزائها

(7) إن ما يسمى العقل المنطقى والسلوك الظاهر هو عادة المُتاح من الفطرة للتعامل مع الواقع الظاهر الماثل (هذا عند معظم الناس وفى أغلب الأحوال).

(8) يظل **الحلم هو الواقع الأكثر تمثيلا للفطرة باعتبار فرط نشاط حركيته التشكيلية، ورحابة مساحة حركته الحرة.**

(9) نحن -غالبا- كما ننكر الحلم، (ندعى أنه لم يحدث، أننا لا نحلم) أو نتنكر له (ننساه) ، أو نشوّهه بالحكى المختزل، أو نُحل محله حلم مزيف (دون أن ندرى)، أو نفسره برموز ثابتة عمياء، **نحن نعمل مثل ذلك فى فطرتنا أثناء اليقظة بشكل أو بآخر.**

(10) ثمّ انفصال مشروع وضرورى، وذلك حين ينفصل جزء من الفطرة عن شمولية تواجدها- ينفصل بتواتر منظم أو عشوائى- وهو أمر لازم لتواصل حركية النمو، هذا الجزء إنما ينفصل ليتصل - مع **حركية الفطرة فى اتجاهها** باعتبارها حركة وليست كيانا له ما يميزه بذاته- ليتبادل مع سائر الأجزاء، ثم يتضفّر، ثم يتجادل، (دون ثبات أو تكرار حرفى)، فهو النمو الممتد،

كما قلنا: هذا انفصال مشروع وضرورى، فهو **الانشقاق للنمو**

(11) يحدث **التبادل بين حالات الوعى لكل من النوم واليقظة، وأيضا النوم الحالم والنوم غير الحالم.. (أنظر الإيقاع الحيوى فى كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع") مثبت بالموقع.**

وهكذا يتواصل **الانشقاق العرْضى بالتبادل الدورى عادة،** مثلما

(12) من ناحية أخرى تتواصل عمليات **الانشقاق الطولى** المتوازى، فالمتضفر، فالنامى فى تشكيلات مختلفة مثل ما يلى:

- تعدد مستويات برمجة (اعتمال) المعلومات فى نفس الوقت (هذا ما سوف نشير إليه فى حالة/أحوال عصام.
- تعدد مستويات التواصل بين الناس فى نفس الوقت (التحليل التفاعلاتى **transactional analysis**
- تعدد مجالات الانتباه فى نفس الوقت ..إلخ

(13) إذا انفصل الجزء **ليحل محل الكل، أو ثبت** هذا الجزء **فى محله منفصلا،**

أو اكتفى بحركية مغلقة من **"الانفصال فالعودة كما كنت"** تماما، فهو **الانشقاق للاغتراب: للتوقف،** (مثل حالات الهستيريا التحولية أو الانشقاقية مثل كاسى أثناء النوم، ونسيان أحداث بذاتها لدرجة فجوات الذاكرة ذات الدلالة ...إلخ)

(14) إذا تمادى **الانفصال للاغتراب:** يحدث التفكك، فالتفسخ، فالتناثر **فهو الفصام** فى صورته المتأخرة النشطة معا

(15) حين ينشط **"الانشقاق للنمو"** معا بجرعة مكثفة إيجابية فعّالة، قد يتجلى ناتجه فى القدرة على **إعادة تشكيل الوعى بجدل خلاّق،** وعادة ما يظهر **فى شكل إبداع** ما (يختلف باختلاف الأداة والمجال ووسائل التعبير والتوصيل).

(16) إذا ما ترسخ انشقاق الجزء عن الكل، حتى أصبح هو الظاهر الثابت، المعيق لأى نمو لاحق، نجد أنفسنا أمام ما يسمى "العادية" التى تتمادى عادة إلى "فرط العادية" hyper-normality التى تتصف بالمبالغة فى تثبيت السلوك النمطى الدفاعى (الميكانزماتى) المغترب السائد، لدرجة الاكتفاء (حتى الاستبعاد) بالمنطق الظاهر الخطى السببى الحتمى المعقلن، محل كل ما عداه (محل الجسد والوجدان والحدْس والوعى وأنواع المنطق الأخرى)،

وعادة ما يغطى هذا الجزء الظاهر المبرمج بكفاءة مناسبة سائر مكونات الفطرة الأخرى،

وهذا هو ما أسميناه فى حالة عصام "القشرة"

(17) أغلب تنويعات الإبداع الحقيقى، وكذلك ما نلاحظه من تلقائية البسطاء (إيمان العجائز) وطهارة الأطفال وهم يتحدثون عن الله عز وجل ..، كل ذلك هو بعض ما يعابثه الناس العاديون **دون تسميته بالفطرة**، ولكنهم يستعملون عادة لغة دينية تلقائية بسيطة، مع ذكر الله سبحانه غالبا.

(18) على النقيض من ذلك، فإن منظومات السلطات الدينية والأخلاقية الفوقية والاستهلاكية الاستغلالية هى أقرب **إلى القشرة التى تضخمت حتى أعاقت عبر العصور**، والتى تصبح بانفصالها أبعد ما تكون عن الفطرة.

(19) **القشرة** قادرة على **"اعتمال المعلومات" Information processing** لتحقيق الشطارة والنجاح والامتلاك والتفوق وكثير من أشكال حفظ المعلومات واستعمالها ، وأيضا بعض تشكيلات العلم الكمّى الجيد والمفيد، أو المزيف والضار، وكذلك كثير من إجازات التكنولوجيا (وهذا هام بالنسبة لحالة عصام: أنظر بعد)

(20) **الفطرة** هى أيضا بكل مستوياتها وتشكيلاتها (بما فيها القشرة غير المنفصلة) قادرة على **"اعتمال المعلومات" Information processing** (وهذا من أهم ما يميزها عما أسماه فرويد "الهو" الذى هو من أهم مكونات اللاشعور") ولكن ذلك يتم بطريقة أشمل، وإن كانت أقل تحديدا وأبعد عن الاختبار المباشر، وإن كنا نتعامل مع أغلب نتائجها تعاملا عمليلا جيدا

وبعـــد؟

ما علاقة كل ذلك بأحوال "حالة" عصام؟ (حالة فصام؟؟)

تعالوا نقرأ بقية الفرض – بأقل قدر من التعديل- وهو الفرض الذى عرضناه فى الحلقة الأولى، حين تورطنا فى استعمال كلمتى "الفطرة" و "القشرة" فلزم هذا الاستطراد!!

- **القشرة (عند عصام) تنجح وتتمم صفقاتها مع الوالد**
- **والفطرة "تعرف" وتدرك، وتتعامل مع المعلومات باستيعاب سليم**
- **تتصادم الفطرة مع القشرة فى مرحلة باكرة (الابتدائية)**

· يظهر الصداع فى المرحلة الابتدائية، ثم يختفى ربما بالبعد بينهما (بين القشرة والفطرة) مع استمرار نشاط كل منهما.

· تستمر القشرة فى النجاح الظاهر، والصفقات الداعمة الخبيثة (بين الابن والأب: التمييز والتجسس) كما تستمر الفطرة فى النشاط والتماسك والمعرفة السليمة والادراك الداخلى.

· تنجح الفطرة حتى فى برمجة المعلومات والإسهام فى أداء الامتحانات، فيفسرها الابن حامدا فضل الله، لكن يبدو أن الداخل تجاور هذا المستوى سرا، وفى نفس الوقت أجّل إعلانه.

· حادث دال خطير يحدث بالصدفة يهز هذه التركيبة برمتها، فتختل صورة الأب ليظهر على حقيقته بلا رجعه ، فتفسد الصفقة،

فيحدث التباعد بين الابن والأب (الزعل: سنة) دون ظهور الأعراض بعد،

· يجتنب الابن أباه، لكن الكسرة قد حدثت فى الداخل، فطالت الفطرة التى انفصلت، وارتدت، وانطلقت لحسابها البدائى مخترقة القشرة منفصلة عنها لتصبح بدائية عشوائية متفسخة..

· الفطرة وحدها لايمكن أن تواصل انجازاً واقعياً ظاهراً إلا إذا تكاملت مع أجهزة الأداء السلوكى .

· المرض يعلن أن القوة الفطرية التى أصبحت بدائية قد انطلقت بين شقوق الكسرة التى جفت فكسرت فور الحادث (الصفع) وإن لم ينطلق فور الكسر.

· تتعملق قوة الدفع من الداخل ولا تتوقف عند حد استعادة تلقائية الفطرة وأحقيتها، بل تتفاقم حتى تنقلب الفطرة إلى تسليم بدائى قدرى أعمى،

· تفتقد الذات أبعادها تماما،

· يتضاعف التمادى فى الانفصال وتتجلى سلبية مطلقة لقوى لم تعد هى القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هابطة من المجهول وإن ظلت فى نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ، اللغة الدينية التى تسطحت فلم يبق منها إلا نداءاتها."

· تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

(حتى لو كانت المسألة قد صارت أصعب فأصعب فلا سبيل إلا المحاولة والمثابرة،

نلتقى غدا لنواصل تطبيق الفرض على أحوال عصام من خلال هذا الاستطراد التنظيرى)

(هل عرفتم لماذا فضلنا إلغاء الجدول إياه بتخصيص كل يوم لموضوع بذاته؟

حتى نأخذ راحتنا هكذا ونكمل ما لا بد أن يكتمل)

الإثنيـــــــن 05-11-2007

66- حـــــــــالات وأحـــــــوال (عن الفصـــــــام..)

إن لم ننجح مع عصام، فلننجح مع أنفسنا!
بعض أحوال: حالة عصام، الجزء الثالث
(؟؟؟:وليس فقط : حالة فصام)

انتهى الجزء الثانى كما يلى:

- **تشوهت الفطرة، على أنقاض القشرة، وظهر الفصام.**

شرحنا فى ذلك الجزء، فى استطراد طال منا، هذين اللفظين اللذين قفزا إلى السطح **(القشرة، والفطرة)** ربما ليحلا محل الشعور واللاشعور، والوعى واللاوعى، والظاهر والباطن، ولست متأكدا إن كان هذا الاستطراد قد أوضح المقصود أم زاده غموضا،

نرجع الآن إلى أحوال عصام1 [1]

حين سئل عصام عن شكواه قال ثلاثة جمل متلاحقة دون فاصل (ذكرناها فى الحلقة الأولى وسوف نكررها هنا على الوجه التالى):

(1) "...كنت فى ثانية ثانوى سنة 1988 ما كنتش مذاكر كويس وربنا عدّاها "وانا اعتبرته وحى" ... إلى أن قال:

"الوحى ده كان قوة دامغة إنى أعمل حاجات كتير" ليه؟ لأن ده مين يقول كلام فى نافوخك غير ربنا

(2) وفى أجازة تانية ثانوى كان حفل بتاع أختى ، بابا كلفنى ..

إلى آخر ما ذكرنا من حادث صفع أبيه له إلى أن قال (الجزء الأول)

"أنا ما فهمتش بابا ضربنى ليه"

ثم قال:

(3) وبعدين استمر الوحى فى قلبى أسمعه بقلبى ، اللى يقوله أنفذه

الفاصل بين الأحداث التى شملتها هذه الجمل المتلاحقة فى "شكوى عصام" هو فاصل زمنى واضح،

فما بين توفيقه غير المتوقع فى الامتحان (الدرجات النهائية

[1] – (إن قارئ نقد لاكان لقصة إدجار ألان بو الرسالة المفقودة لا يستغرب نقدنا لهذا النص البشرى هكذا، لكن للأطباء رأى آخر، محترم طبعا)

الفاصل الزمنى بين حادث الصفع وظهور الأعراض الذهانية الخطيرة (الفصام) كان أكثر من سنة،

لكن عصام ذكر هذه الأحداث وراء بعضها وكأنها حدثت متلاحقة تماما الواحد وراء الآخر،

وقد بيَّنا معنى ذلك فى الحلقة الأولى أساساً لكنه يحتاج إلى تذكرة للتأكيد على دلالته. هذا الربط ما بين **"أنا اعتبرته وحى"**

وبين **"أنا ما فهمتش بابا ضربنى ليه"**

ثم بين ظهور الأعراض الجسيمة، حين انقلب الوحى الذى أنجحه إلى وحى يقول له

"قلّد صوت الديك، فيقلده .. ثم يستنتج أن

"ده معناه حان وقت الانتصار"

كل هذا هو بمثابة إعلان على ما تم بالمرض **من إعادة تشكيل الذوات فى هذا التركيب المرضى الذى وإن بدا عشوائيا إلا أننا سنجتهد فى قراءته كالتالى:**

عودة إلى الفرض الذى جاء فى الحلقة الأولى بألفاظ أخرى:

1) إن فطرة عصام (حركَيَةِ كليَتِه دون استثناء القشرة : انظر الحلقة الثانية) كانت يَقِظَةْ ومتماسكة ونشطة حتى لحظة الصفع (وكانت تنمو، وتفوّت لوالده، بل وتستعمله – تستعمل الوالد- أحياناً)

2) إن قشرة عصام (ظاهر سلوكه وإنجازه مع ربط متواضع بالفطرة) كانت جافة ومطيعة ومغتربة حتى لحظة الصفع (وكانت تنجح، وتستر عصام بما يحقق من إنجازات) وفى نفس الوقت تُرضى والده

3)كانت ثمة علاقة تَصاُلحْ بين القشرة والفطرة تكمل حياته، وتنجحه، فتستمر مسيرته (مرة أخرى: مع التذكرة بأن الفطرة لا تكون كذلك إلا بهذه الوصلة مع القشرة: (الحلقة الثانية).

4) إن الذى أنجحه متفوقا – على عكس توقعه ورفضه دخول الامتحان – هو هذه العلاقة التصالحية بين القشرة والفطرة، مع غلبة دور الفطرة (توفيق الله)

5) عزى عصام نجاحه متفوقا للفطرة دون القشرة (تقريبا) ، وأسماه وحيا (من هنا بدأ تعظيم الفطرة منفصلة عن القشرة، بل وناكرة دور القشرة " لأن ده مين يقول كلام فى نافوخك غير ربنا" (الفطرة النامية هى الأقرب لربنا)

6)حتى حادث الصفع لم يحدث ما يعلن أى درجة من التباعد بين القشرة والفطرة، اللهم إلا إذا أخذنا حدْس الوالد فى تفسيره لحكاية الصداع فى الابتدائى.

7)حدث حادث الصفع (الإهانة أمام غريب + عدم رؤية موقف

عصام المدافع عن أبيه (الذى هو هو مَنْ صفعه) --> السحق--> انهيار صورة الوالد --> انهيارالدعم الخاص انهيار حدود الذاتLoss of Ego Boundaries (وتأجيل إعلانها) حدث كل ذلك والقشرة منفصلة، وكانت قد جفت لبُعْدِهَا عن الفطرة الذى لم يكن قد أُعْلِنَ إلا لاحقا: بالمفارقة بين عزوفه عن دخول الامتحان (القشرة) ثم توفيقه فى أدائه هذا التوفيق غير المتوقع الذى عزاه إلى الوحى (الفطرة) دون اجتهاده الشخصى (القشرة).

8) تشققت أو رقّت القشرة لكنها ظلت متماسكة على السطح لمدة عام، محتجة بما يشبه الخصام مع الوالد، ثم تزايدت العزلة، وتراجع التفوق، ثم حدثت الإعاقة فى الدراسة كلها، إذْ لم يعد شىء يغذى تماسكها، لا تصفيق الوالد، ولا اقترابها من الفطرة، ولا التفوق الدراسى فى ذاته (لم يعد عصام **"الديك الفصيح"** فى الدراسة)

9) انهارت القشرة بحادث الصفع لكنها لم تتمزق تماما وفوراً،

وانسحبت الفطرة إلى ظلام غائر حتى تحولت فيه إلى بدائية محتجّة، متفسخة، معلنة المرض العقلى الخطير

أصل المسألة فى خلفية الحالة

برغم حرصنا على عدم الربط المباشر بين ما يبدو سببا وما يظهر على أنه نتيجة إلا أننا فى هذه الحالة، ومع عدم وجود تاريخ للمرض النفسى فى الأسرة، ومع احترام حدْس الوالد برغم خطئه وغروره وشكوكه واغترابه، نضع خلفيات للخلل الذى حدث فى تركيبةْ عصام كما يلى:

(1) يقول الوالد عن **"فطام"** عصام

"..أول إنسان اتظلم فى الجمهورية، ظل 21 يوم بدون أكل وشرب، يعنى حاجات بسيطة خالص، بسكوتة بتاع، لدرجة إنى قلت ده حايموت" لو طلت أبوس جزمته وياكل كنت عملتها،

وقد فوجئنا أن الوالد يربط هذه الـ 21يوماً -بعد الفطام- بتوقف عصام عن الاستذكار!! ثم يلحق الوالد -بنفس الحدْس-

لمّا بطّل يذاكر فى الثانوية العامة ربطت ده بده (ربط جوعه بعد الفطام بعدم استذكاره).

ولغرابة هذا الربط سأله الزميل كاتب المشاهدة: **ربطت فطام عصام بمرضه النفسى؟ فيجيب الوالد:**

"أكيد ده أحد عوامل عياه، ولكن هل الطب بيقول كده، ولا بيبتعد عن رأيي؟"

(2) ربط الوالد أيضا، بنفس الحدْس، بين "صداع الابتدائية" الذى أصاب عصام ثم اختفى وبين مرضه لاحقا (كما جاء فى الحلقة الأولى)

" العيا فى أساسه خالص إنه حصل واشتكى من دماغه ..الكلام ده كان فى الابتدائى، .. رحنا لدكتورعيون قال ما فيش حاجة، وراح الصداع، ظل الموضوع تمام التمام لحد الثانوية العامة، (بعد الحادث)، وماكانشى راضى يخش الامتحان.. لكن أنا دخلته إجبار، ونجح وجاب الدرجات النهائية فى الرياضة" وقتها أنا اطمأنيت وحسيت إن موضوع ابتدائى (الصداع!!) ده ما أثرشى عليه !!

هذا والد له وضع خاص، استطاع أن يربط بين صداع ابنه فى الابتدائى، وبين درجاته النهائية فى الرياضة فى الثانوية العامة؟

ولكن أى طبيب – أو معالج أو عالم – يمكن أن يصدق هذا الربط العجيب ؟

نحن صدقناه –تقريبا– وكان من أساسيات ما بنينا عليه فرضنا هذا الآن.

هذا الوالد هو هو الذى استطاع أن يربط بين جوع ابنه 21 يوما بعد الفطام فى سن سنة، وبين ما أصابه بعد عشرين سنة؟

يبدو أن هذا الأب له رؤية خاصة، وحدْس متميز لايمكن إغفالهما، فهو برغم تحفظه وتقليديته، واستعماله عصام ثم أخته للتجسس على بقية الإخوة إلا أنه يبدو أن عنده صفات ليست مألوفة عند الأب الجبار المألوف المتمثل فى "سى السيد" مثلا، كما أنه هو هو الذى صفع عصاما بلا داع أمام غريب فانهار لاحقا!!

هنا يجدر بنا أن نثبت وصف الأب لنفسه

"أحب الأخلاق العالية، وألتزم جدا بالشريعة الإسلامية، أصوم وأصلى، وأكره الموبقات، بس فى طبعى عصبى شوية ، أقدس عيالى بعد الله ... "

(قارن ذلك بوصف الابن له، وأيضا وصف الأم (لزوجها) الحلقتين السابقتين)

يبدو أن جوع هذا الأب العاطفى لم يمتلئ أبدا، وأنه كان يستعمل أولاده، وخاصة عصام، لإشباع هذا الجوع بشكل ما، فلم يتواجدوا أبدا بذواتهم لذواتهم.

عودة إلى معنى الوحى عند عصام

(1) عصام استعمل كلمة **"الوحى"** ليفسر بها توفيقه فى حصوله على الدرجات النهائية فى الثانوية،

(2) ثم تمادى فى استقباله لهذا الوحى (المفيد فى البداية) بعد أن تعملق وتخطى الحدود فأصبح **"قوة دامغة"** إذْ راح يأمر بما ذكرنا ..قلد صوت الديك...الخ.

(3) ثم عاد يستعمل كلمة الوحى الناحية الأخرى بعد ظهور المرض، ثم الإفاقة المؤقتة منه حين يقول:

"لما جانى الوحى فى سنة رابعة (جامعة) إنى ما اخشش الامتحان، قلت لابويا، قال لى انشالله تأجل تلات آلاف سنة، ولا يهمك"

لاحظ مساحة السماح عند الأب لو صدق!)

هل هو نفس الوحى؟

فى الاستعمال الأول (لكلمة الوحى) : افترضنا أن الفطرة (مثل الجسد والعواطف، والوعى على مستوياته المختلفة) تساهم فى التحصيل واعتمال المعلومات، حتى لو أنكرتها القشرة، وبالتالى هى التى أدّت الامتحان من خلال القشرة وحصلت على الدرجات النهائية.

فى الاستعمال الثانى: انفصلت الفطرة، وتعملقت البدائية، وصدرت الأوامر الذهانية (الجنون) لما تبقى من القشرة فأطاعت الأخيرة

فى الاستعمال الثالث الأخير (الأمر بعدم دخول الامتحان) يبدو أن الفطرة بعد انفصالها النسبى عن القشرة، أصبحت ترفض أن تقدم خدماتها للقشرة بعد أن تشوهت وتشققت واهتزت إثر الحادث (الصفع).

النكوص إلى البدائية

حين انهارت القشرة، بعد حادث الصفع، رقت وتشققت دون أن تفقد تماسكها، لكنها لم تتفتت إلا بعد مايقرب من سنة، وفى نفس الوقت لم تحل الفطرة محلها بل تمادت فى الانفصال عن القشرة المهتزة على وشك التمزق، لتصبح أقرب إلى البدائية كبديل، وكاحتجاج معا، وهكذا، ظهرت دلائل تنشيط المخ البدائى

فسرت إحدى الزميلات تبول عصام بجوار السرير باعتباره إعلاناً لعزلته، وتحديداً لجزيرته (منطقة نفوذه)، حتى لا يتخطاها غريب، كما تفعل بعض الحيوانات وهى تحدد منطقتها بمثل ذلك، ليصبح قوة طاردة بما ينبعث منه من روائح كريهة.

علامات أخرى على مسار المرض

كان عصام يتحسن لفترات تسمح باستمرار الدراسة، والنجاح المتقطع، وفى نفس الوقت كان المرض يتمادى:

"فى رابعة كلية بدأت أحس ان تصرفات أبويا وأمى اتغيرت، يقولوا عصام مش عصام، العلاقة ما بقتشى زى الأول، عصام كان بالنسبة لهم حاجة كبيرة، وهما كانوا بالنسبة لى حاجة كبيرة، حسيت إنهم مش أبويا وأمى، .... فكرت أسيبهم، لكن ما اقدرتش على الأكل والشرب والنوم"

هذا الإعلان عن تغير العلاقة مع الوالدين حتى الانكار (وهو أمر متواتر فى هذه الأمراض خاصة فى سن المراهقة، وحول ذلك)، هو يدل –عادة– على اكتشاف المريض مدى

غياب الوصلة اللازمة لتكون الأم أمه، والأب أباه (ربما بمعنى افتقاد الدعم، والانصات، والاستجابة، والإنقاذ، والتفاهم، والرعاية..إلخ)، ومن هنا يكون التعبير "أنهم تغيروا، أو أنهم ليسوا الوالدين" هو إعلان لهذا الاكتشاف أكثر منه تقريراً للشعور بالتغير، ولم يقتصر الأمر عند عصام على إنكارهم، بل تمادى إلى شجهم دينيا، وواقعيا، حين تصوّر – أو تمنى – موتهم، ليكمل هو المسيرة بدونهم **"عشان أعيش واتجوز وتستمر الحياة!"**

".... لاحظت إنى لمّا أدّن (يقيم الأذان بناء على أوامر الوحى) أبويا يخرج من الأودة لأى سبب، وأمى تقول أنا حاروح أأكل الفراخ، فعرفت إنهم جان. وكنت ساعتها أشم ريحة حاجة بتتحرق، أقول إن فيه جن بيتحرق.

حين ارتدت الفطرة إلى البدائية، وانهارت حدود الذات، اتخذت البدائية بعض اللغة الدينية **(الأذان) وظيفة تبريرية أخرى**، فالأذان يطرد الوالدين، ومن ثم يصبحان **"جانا"** يستأهلان الحرق.

وراحت تبرر السلوك بسوء التأويل الضلالى:

ثم يصل الأمر إلى الرغبة فى التخلص منهما، أو حتى إنكار وجودهما، باعتبار أن هذه هى الوسيلة التى تسمح له بانطلاقة مستقلة بشكل ما (وتستمر الحياة).

"...لذلك، أبويا وأمى لازم يموتوا ، – احتمال ماتوا- عشان أنا أعيش واتجوز، وأخلف، وتستمر الحياة"

مزيد من أدلة على فقر التواصل

يقول عصام:

"لما ابتديت أفهم ، وتصرفاتهم بدأت تتغير، عرفت أفسر الآية: بسم الله الرحمن الرحيم "يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه"، يعنى لو كان فيه ودّ ، ماكانوش الناس حايتفرقوا فى الآخرة، ولا فى الأرض.

نلاحظ هنا تفسيره الخاص، الذى ينتهى إلى حقيقة بسيطة، مهمة، نفهم منها كيف أن أعراضه إنما تعلن أنه ليس هناك تواصل "ود"، وبالذات: فى محيط الأسرة، ثم يمتد تفسيره إلى الآية الكريمة ، فلا يخصها بالآخرة أو بيوم القيامة، وإنما يطلقها على "الآن أيضا" (ولا فى الأرض).

مظاهر أخرى لمدى التفسخ

وبرغم أن المريض كان يصلى بانتظام نسى إلا أنه حين سُئل عن الصلاة قال:

أنا اتعلمت الصلاة فى سِنّ سنة ،

وبسؤاله عن معنى ذلك أجاب

" الإنسان أول حاجة بيجى على إيديه ورجليه، ولو حيوطى يجيب لعبة من على الأرض حا يتكفى على وشه زى السجود، وبعدين بيقف!!

وبسؤاله عن موضوع التبول بجوار السرير قال :

الواحد بيتوضا بإيه، بالمية، إذن الماء أطهر شيء، والبول ده ميه، إذن ماينفعشى ترمى ميتك فى الحمام، عشان كده كنت باتبول جنب السرير.

العلاج والتحسن المتقطع

ومع خطورة كل هذه الأعراض، إلا أن عصام استطاع، بالعلاج المتقطع أن يواصل دراسته، فبرغم رقة القشرة، ونفاذيتها لنشاط البدائية (التى كانت فطرة) ولسلوكيات النكوص، إلا أنها -كما قلنا- تشققت فقط ولم تتحلل تماما وتتباعد، وكان ما تبقى منها قادراً على الاستمرار والتحصيل بشكل يدل على كفاءة وقدرة البرمجة والتدريب السابقين على التحصيل، يقول عصام عن أدائه فى الجامعة (بعد الحادث)

كنت باروح فارد عضلاتى، مافيش أصحاب ماثقشى فى حد، لكن الكتاب أفهمه من نظرة واحدة بإذن الله،

وبرغم كل هذا المرض وأصل المريض دراسته وحصل على الليسانس وسنه 23 سنة فقط، (بعد تأخر سنتين لم يدخل فيهما الامتحان).

الخلاصة والمناقشة

لست متأكدا إن كانت الحالة، بعد أن شرحنا **"أحوالها"** هكذا، قد أصبحت أقرب إلى الفهم فالعلاج، أم أنها أصبحت أكثر تعقيداً وإلغازاً؟

تفسيرات بديلة

ثمة حلول وتفسيرات جاهزة **بدلا من كل ماقدمنا** إليكم بعضها

(1) هذا الشاب مصاب بفصام من النوع التفسخى Disorganized Schizophrenia، وأعراضه تدل على أن التفسخ أصاب التفكير والكلام ، ثم إن عنده أعراض ذهانية صريحة من **"هلاوس وضلالات"** ولابد له – حتى لو لم نعرف السبب – من جرعات هائلة من المهدئات الجسمية أو ما تيسر من صدمات كهربائية إن لم يتحسن، وكل ما عدا ذلك باطل لا لزوم له، لأنه لا يمكن اثباته.

(2) هذه حالة فصام صريح نتيجة خلل فى كيمياء المخ، فى الموصلات النيورنية، وربما داخل الخلايا، **نعم**، لقد حدث نقص فى مادة "كذا" أو زيادة فى مادة "كيت"، ويمكن إصلاح ما حدث بتعويض النقص، أو معالجة الزيادة بما يقللها بعقاقير قادرة على ذلك.

(3) هذا شاب ملبوس، ترك الصلاة وعق الوالدين، فلبسه جان خبيث، يأمره بالأذان دون أن يصلى ويشوه عقيدته، وبجرعة من الرقى والقراءة وطرد الجان يمكن أن يعود إلى صوابه.

النقد المحتمل للفرض المطروح

إن من يقرأ هذا الفرض الذى أوردناه، وهو يعرف تلك التفسيرات الجاهزة التى ذكرناها حالاً، لابد أن يتهمنا أننا **نكبِّر الصغيرة، ونتعسف فى التفسير، وأن كل هذا الجهد لا لزوم له فى النهاية، وخاصة أنه لايوجد دليل علمى صحته، فهو إضاعة للوقت بلا طائل.**

وبمنتهى الصراحة أنا ليس عندى رد مقنع فى مواجهة مثل هذا النقد الوجيه، ومع ذلك سوف أرسم خطة العلاج كما تصورناها، وكما أمِلْنا أن نمارسها، فى ظل الفرض الذى وضعناه:

أولاً: نحن لا ننكر أن ما أسميناه **الفطرة**، حين انفصلت عن **القشرة** قد انقلبت إلى **البدائية**، فهى قد أعلنت -بذلك- نشاطاً بيولوجيا محددا صادراً عن المخ البدائى مستقلاً بلا رادع، مع العجز عن احتوائه من مستوى مُخَى أنضج، وبالتالى **وجب** إعطاء العقاقير التى تعمل على هذا المخ البدائى انتقائيا -المهدئات الجسيمة- أى على هذا المخ الأقدم، على ألا تشله هذه العقاقير تماماً ودائماً، ولكن لتحدّ من نشاطه مستقلا Major Tranquilizers (Neuroleptics) بشكل مؤقت.

ثانياً : إن احترام معنى أعراض عصام وإعلانها لافتقاده التواصل فى الأسرة وخارجها، وغير ذلك مما ذكرنا، لابد أن يكون حافزاً إلى أن يشمل العلاج توفير نوع من التواصل أعمق وأصدق، تواصل له معنى ومصداقية وهدف: بدايةً: عن طريق المعالج/ أو المجتمع العلاجى، ثم نقلا إلى الأسرة بشكل تدريجى، حتى يشاركوا فى **"استرداد"** عصام متكاملاً **"إليه"**، حين يتبين عصام (كما نتبين نحن) من خلال كل ذلك أننا لسنا بعد **"يوم يفر المرء من أبيه وأمه وأخيه".**

ثالثا : إن احترام حدْس الوالد وحسن نيته (برغم عيوبه وخطئه الجسيم) يوجهنا إلى محاولة تصحيح بعض مواقفه، التى يبدو أنها اقتصرت فى الماضى على تغذية القشرة دون الفطرة، بالاضافة إلى امتلاكه للأولاد بزعم التقديس (بعد الله!)

إن تغذية احتياجات الوالد من خلال العلاج أو غيره، من مصدر مناسب، بجرعة مناسبة، يمكن أن يغنيه عن استعمال ابنه هكذا حتى التفريغ فالكسر.

رابعاً: إن الحفاظ على ما تبقى من كفاءة القشرة عند عصام، مع التذكرة بأن تلك القشرة هى التى نجحت أن تواصل الدراسة حتى الحصول على الليسانس، يجعلنا نحافظ على مكاسبها، ونسارع بأن يعمل عصام - وقد تخرج- عملاً يومياً، نأمل أن يوفق فيه كما وُفِّق فى الدراسة .

خامساً : إن احترام الفطرة، برغم مآلها المؤقت المنهار إلى البدائية ، قد يسمح لنا بترجمة ما ذهب إليه من تنويعات فى استعمال لفظ **"وحى"** ترجمتة إلى لغة التكامل البشرى. الذى يتجلى فى لغة **الإيمان البسيط العميق معا**، وليس فى صورة

القهر التديني السطحي، وكل ذلك قد يكون قادراً على أن **يجمع عصام إلى نفسه** بمساعدة كل ما سبق من عوامل علاجية مجتمعه، الأمر الذى يجعل هذا النوع من الإيمان من أروع تجليات الفطرة السليمة باعتباره القوة الضامة لمستوياتنا إلى بعضها، ولبعضنا إلى البعض الآخر، بأقل قدر من القهر السلطوى السطحي.

تذكرة أخيرة

يسير كل ذلك جنبا إلى جنب مع تعاطى العقاقير بطريقة مذبذبة انتقائيا، بحيث لا تشل حركة المخ القديم نهائياً وطويلا كما قلنا، وإنما تسمح بإطلاق نشاطه تدريجياً ليتكامل مع سائر المستويات، متصالحا، ثم متجادلا، مع القشرة طول الوقت عْوداً إلى اطلاق مسيرة النمو فى اتجاهها الصحيح، ثم تسحب العقاقير بقدر ما يتجمع عصام على نفسه، وتنطلق طاقته فى الناس إلى الناس، إليه.

اعتذرا وإصرار

كل هذا ليس خيالا طوبائيا

ذلك أن أى قدر منه، فى الاتجاه السليم، هو قادر على **تحقيق بعض ما نرجوا لأنفسنا**

إن لم يكن لعصام.

والله أعلم

الثلاثـــــــاء 06-11-2007

67- عــن الفطـــــرة والجســـد وتَصْنيـــم الألفـــــاظ

بمجرد أن نشرت أول أمس محاولة تعريف بما أعنيه (أكرر ما أعنيه) بكلمة **الفطرة**، حتى جاءتنى احتجاجات قوية ودالة، وتأييد أقل، وقد شعرت بأمانة أن الاحتجاجات أهم، حتى بدت المسألة أخطر من أن تُتْرك أو تؤجل.

لن أكرر هنا ما قصدته بالفطرة فقد تصورت أننى حين استبعدت أنها ليست كذا وكذا (ستة استبعادات) 13-10 وأثبت أنها كيْت وكيْت: اثنتى عشرة (من عشرين صفة) تصورت أننى قمت باللازم نحو تحديد ما أعنى تماما، لكن الاحتجاجات التى جاءتنى بدت لى أن أصحابها لم يصلهم أىُّ من ذلك، هل هى مقاومة أم أننى أخطأت؟ فكان لزاما أن أراجع نفسى، وأنا أحترم ما وصلنى كله.

عن المنهج

فى أى أطروحة أو بحث، ينبغى على الباحث أن يحدد **التعريف الإجرائى** لما يبحث فيه، خاصة إذا **كان يتناول موضوعاً جديداً يضطر فيه إلى استعمال ألفاظ أو مفاهيم قديمة شائعة.** المأزق فى مثل هذا الموقف بالنسبة لى يكمن فى الإجابة على تساؤل يقول:

أيهما أفضل ؟! استعمال كلمات جديدة للمفهوم الجديد أم الاحتفاظ بالكلمات القديمة مع إعادة تعريفها؟

لم أتردد -شخصيا- فى نحت كلمات جديدة لحل بعض مثل هذه المواقف فى كثير من المواقع التى اضطررت فيها إلى ذلك، فابتدعت مثلا كلمة **"البِجَدْلَغَة"** لتفيد **"اختراع لغة جديدة"** غريبة وذلك ترجمة لكلمة Neologism ونحت كلمة **"حَلْوَسَطْ"** (وهى إضغام لكلمتى **"حل"** و **"وسط"**) حتى أؤكد بهذا الإضغام سكون المعنى الذى أريده، وحتى أستطيع أن استعمل الكلمة كفعل خماسى **"حَلْوَسَطْ" "يُحَلْوسُطُ"** فى مواقف بذاتها، وغير ذلك مما لا داعى للاستطراد إليه، لكن الذى حدث أننى رُفِضْتُ رَفْضاً شديدا، لأن تقديس معاجم اللغة العربية أصبح عائقا ضد إدخال كلمات جديدة، وفى بحث ألقيته فى ندوة الثقافة العلمية فى المجلس الأعلى للثقافة عن **"حركية اللغة بين الشعر والشارع"**

نبهت أن اللغة الانجليزية يدخلها كل سنة حوالى 1500 كلمة جديدة كل عام global language monitor، فى حين أن إدخال (نحت) كلمة جديدة فى اللغة العربية لايحدث إلا بعد معارك مهولة، يعقبها رفض عام منظم.

من هنا اضطررت أن أعود إلى استعمال الكلمات الشائعة مع الالتزام بتعريف إجرائى واضح فى كل حال.

إن أى بحث عن الفصام -مثلاً- لا يعنى شيئا إطلاقاً مالم يحدد الباحث **ماذا يريد بكلمة الفصام** فى بحثه هذا بوجه خاص، حتى لو كان قد أشار إلى **"دليل"** عالمى، أو قومى، أو وطنى، يحدد معالم مفهوم هذا التشخيص بمحكات واضحة، إلا أن تحديد اسم المرض لايكفى فى كثير من الأحيان، إذْ لابد من الالتزام بعدد من المواصفات الخاصة للعينة قيد البحث، مع تحديد موقف الباحث وهدفه، الأمر الذى يعطى للبحث تميزه، وقد يسمح بالمقارنة بأبحاث أخرى، بعد مراجعة التعريف الخاص فى كلٍّ

فإذا جئنا لكلمة مثل **"الحب"** كان الأمر أصعب وأكثر التباساً

وحتى لفظ الجلالة ، **الله** سبحانه وتعالى، لو اقتصرنا على تعريف المعاجم أو تفسير السلطات المنغلقة له، لحرمنا أنفسنا وسعينا الإيمانى وجوديا من كل عطاء المبدعين، والمتصوفة والفلاسفة ، ولتوقف الاجتهاد الممكن، ولأجهضت الاشراقات النورانية الهادية.

ما العمل؟

هل يتجنب المتصوفة والمبدعون الكادحون إلى وجهه تعالى استعمال لفظ الجلاله مادام المحتكرون قد استولوا عليه لصالح سلطاتهم، أو يواصل المبدعون، والكادحون إليه كدحا امتلاك ناصية اللغة رافضين أى احتكار حتى ينبض لفظ الجلالة من جديد بموضوعية معناه وحركية تواجده مَعْبَرًا بين الوعى الخاص والوعى الكونى سعياً إلى وجهه سبحانه وتعالى؟

فإذا انتقلنا إلى موضوع الفطرة، كما ورد فى مقال 3-11-2007 ، أعترف أننى لم أجد للفظ الفطرة بديلاً، بل إننى لم أجد له ترجمة بالانجليزية تحتوى ما أريد، حتى أننى حين أكتب بالانجليزية أدخله إلى الانجليزية (ضمن الخمسة عشر ألف كلمة، مطمئنا إلى ترحيب أهلها، أدخله هكذا Fitra كما سبق أن أدخلت لفظ Wijdan حيث لايوجد أى مقابلا للكلمة العربية الرائعة "وجدان" فرحت أكتبها هكذا بالانجليزية Wijdan: لا Emotion ولا Affect ولا غيرهما)

ماذا كنت أفعل وأنا أتحدث عن الفطرة أكثر من **استبعاد ستة احتمالات قديمة**، وابتداع **اثنى عشر محكا** جديداً؟ لابد أن أعترف هنا أن كل ماوصلنى مُقْتَطفا عما شاع عن الفطرة - خاصة فيما يتعلق بالتفسير الفقهى الرسمى - هو بالضبط ضد المفهوم الذى أستعمله هنا، والذى مازلت أصر على استعماله، لأن الله سبحانه سوف يحاسبنى على تراجعى إنْ أنا

فعلت، وعليهم هم أن يتراجعوا إذ شاؤوا،

هذا وأستطيع أن أقسّم ما وصلنى من تنبيهات واعتراضات إلى قسمين:

القسم الأول : قدّم مفهومه عن الفطرة بمعنى **البدائية الفجة،** وهو ما نفيتُهُ تماما، وحَقَّ لمن خدعه الترادف بين الفطرة والبدائية أن ينبه أن شعوب الفطرة **لا دين لها.**

القسم الثانى : هو الذى عرّف الفطرة بإجراءات نظافة وتشذيب وتخفيف، لاتمت للفطرة التى أعنيها بصلة، من أول الختان حتى تهذيب الشارب.. ضد ما أريد تماما، ومع احترامى لكل مافى ذلك من أصول فقهيه يتحمل قائلها مسئوليتها، وله أجرها، إلا أن هذا استعمال آخر، فى مقام آخر، مهما كانت له مبرراته،

أما ما يصلنى من معنى الحديث الشريف أن الإنسان يولد على الفطرة.. (الإسلام) أو أن الاسلام دين الفطرة.. الخ، فأنا لا أقرأ هذه الأحاديث -بعد التوقف مليا- إلا من خلال الآية الكريمة "قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا..." (الآية) فإسلام هؤلاء الأعراب - بنص القرآن- ليس هو الفطرة التى يعنيها الحديث الشريف لأنهم أسلموا ولَما يدخل الإيمان فى قلوبهم... !! فأين الفطرة؟

مراجعة وتوضيح

أعود لالتزامى وتمسكى بموقفى برغم الصعوبة التى عاينتها من البداية وأنا أحاول أن **أربط الفطرة بالحركة ضد السكون، وبالتخلف ضد الجمود، وبالإبداع ضد النكوص، وبالجدل ضد التسوية،** فأعيد الفقرات التى توضح ذلك:

أولاً : قلت فى محكات **الاستبعاد**

"الفطرة ليست شيئاً محدد أو مفهوما ساكناً"
ثانياً: ثم قلت فى محكات **التحديد**
"الفطرة هى حركة فى اتجاهها!"
(وقد أضفتُ فزعاً: يا خبر ما معنى ذلك؟)
فى اتجاه ماذا، فى اتجاه الفطرة ذاتها، التى هى حركة أصلاً،
ثم يبدو أن فزعى هذا من الغموض لم يثننى عن إضافة:
"إنك بمجرد أن تفكر فى الفطرة من الوضع ساكناً. فسوف تجد نفسك بعيداً عنها"

ثالثاً: قلت أيضا: "إن الحلم هو الواقع الأكثر تمثيلاً للفطرة باعتبار فرط نشاط حركيته التشكيلية ورحابة مساحة حركته"

هذه الفقرات الثلاثة جعلتنى أقيس كل ماوصلنى من تعريفات -أغلبها فقهية - بمقياس ما قلت، فانتهيت إلى أنها تعريفات **ساكنة** لا تمت إلى مفهوم الحركية بصلة.

وبالتالى هى أبعد ما تكون عن الفطرة كما عَرفتها تحديداً.

ما الحل؟

هل الحل -كما قلت فى بداية المقال- أن أتجنب استعمال اللفظ وأتركه لهم يصنّمونه، ويجمدونه، ويشوّهونه لمجرد أنهم أسبق فى استعماله، ألا يجرنا هذا، لو قبلتُه ورضيت به، إلى التنازل عن استعمال لفظ الجلالة (استغفر الله العظيم) إلا بمثل ما يستعملونه له، الأمر الذى حَرمَ – أو كاد أن يحرمَ- عامة الناس من معايشة نص الإيمان سعيا إليه سبحانه فى دورات الإيقاع الحيوى، ومع تسبيح الطبيعة، وفى حركية الوعى البشرى "معا"، ولإعادة خلق ذواتنا فى رحابه ذهابا وجيئة، وعبادات، طول الوقت، طول الوقت؟

من هنا وجدت لزاما علىّ أن أعود هادئا لأوضح بعض موقفى بالتفصيل، وسوف أتناول -كلما أتيحت لى الفرصة جانبا من جوانب المسألة ، بدءًا اليوم بموضوع:

1- الفطرة والجسد

الفطرة وإعادة إحياء الجسد

نشر أصل هذه الأطروحة بعنوان : **"هل تعرف أن لك جسداً ولا مؤاخذة"** فى صحيفة يومية قومية مجهولة كنت أكتب فيها أسبوعيا وتصورت أن أحدا يقرأ ما أكتب، لكن يبدو أن هذه أول مرة -بعد تحديث الأطروحة وايجازها- أطمئن أن زائر الموقع سوف يقرأها بأمانة تتناسب مع ما كُتِبَتْ به.

برغم أنك تقرأ هذا الكلام بعينيك، وتقلب الصفحة بيديك، كما تغلق التليفزيون بأصابعك على الريموت أو مباشرة، ثم تذهب إلى الحمام سائرا على قدميك، لتعود عليهما، ثم تستلقى و تتمطى قبل أن تنام، أو تلقى بجسدك على السرير فيتقلب منك أو لا يتقلب، حتى تستغرق فى النوم، برغم كل ذلك فأنت – مثلى غالبا- ليس عندك خبر أن لك جسدا، بما هو كما هو، مع أنك أنت شخصيا – مثلى أيضا- لستَ إلا جسدك. تصور؟!

لا يمكن أن تتعرف على جسدك بحق من خلال رأى عقلك فيه، أو تصوير عقلك له. مع أن الجسد له أولوية فى الوجود، وكذلك عبر تاريخ التطور.

كانت الكائنات الأولية تفكر بجسدها، وتحفظ بقاءها بجسدها، وتحافظ على نوعها بجسدها، وتمارس مشاعرها بجسدها، كل ذلك قبل أن يتخلق لها دماغ (مخ) .

جسدك ليس فى حاجة إلى توصية من عقلك المحترم حتى تعترف به.
كيف السبيل لنتعرف معا على ما نسيناه حتى ألغيناه؟

بالنسبة لما نحاوله معا هنا والآن، للأسف ليس هناك سبيل إليك، إلىّ، ونحن نتكلم عن جسدى وجسدك، إلا من خلال عقلك الذى تقرأ به هذا الكلام. أليست القراءة هى وظيفة عقلية حتى لو كانت تمر من خلال عضو إحساس رائع، هو "العين" التى لم نعد نستعملها إلا مَعْبَراً لما يتجاوز ما يصلها؟ ومع ذلك دعنا نحاول:

ماذا فعلنا بأجسادنا حتى تاريخه؟

ماذا طرأ على مفهوم الجسد عند الإنسان المعاصر؟ وبالتالى ماذا طرأ على ما هو جسد؟ عند أغلبنا ؟.

لقد انتهى الأمر بنا

وبأجسادنا إلى اغتراب منذر. (برجاء عدم التعميم)، وإليك بعض ذلك:

(1) **تم إهمال الجسد، أو تهميشة، لحساب ما يسمى العقل،** فنحن نعرف أجسادنا من خلال ما شاع عنها فى كلامنا وأحكامنا، أكثر مما نعرفها من خلال ما يصلنا منها مباشرة، اللهم إلا فى حالات المرض (أو توهم المرض الجسدى: المُراق **Hypochondriasis**)، وبعض حالات الجنون، وأحيانا الإبداع حتى لا نظلم الجميع.

(2) تم احتقار الجسد، أو ازدرائه، لحساب ما يسمى الروح. ومع أن الروح من أمر ربى، فالأفضل ألا نفتى فيها، فإنه ما أسهل على أى واحد لا يعرف جوهر دينه أن يضعها استقطابا على أقصى الناحية الأخرى من الجسد (الجسد هو ضد الروح!)، يحدث هذا فى التدين المنغلق المنشق، كما يحدث حتى فى بعض أنواع العلاجات تحت مسمى "الروحانية"، فيصل هذا الاستقطاب بين الروح والجسد، وكأنهما نقيضان، إلى الشخص العادى ليسود الحديث عن طهارة الروح، وعشق الروح الذى ليس له آخر، "لكن عشق الجسد فانى، عشق الجسد فانى!!" (كذا؟)

(3) يصل الأمر إلى أن نعامل الجسد **كمجرد أداة، أو وسيلة لغيره، ومن ذلك:**

- أن نقصر دوره على أن يكون **وعاء ثم مطبخا لطحن الطعام وهضمه وأيضه،** (تمثيله الغذائى) ليمدنا بالطاقة، وأحيانا
- نبنى من خلال ذلك بعض وحدات من الخلايا البديلة نعوّض بها ما تلف منها.
- كما قد نستعمل الجسد **أداة للمتعة بما يحقق لنا ما تيسر من لذة أو يطفئ ما أثير من شبق.**
- كذلك قد يستخدم الجسد **معرضا للممتلكات** حين نضع عليه ما نملك من "إكسسوارات" لزوم "رموز الطبقة"، للإعلان على
- أننا نمتلك من المال ما يمكن الاستغناء عنه ووضعه على رف الجسد للإعلان والتنويه.
- ثم إنه كثيرا ما يستعمل الجسد **كلوحة تتلقى عبث الوشم المؤقت،** أو الدائم، كلافتة تعلن عن هوية صاحبه أو رغباته أو احتياجاته أو حتى موقفه السياسى أو المذهبى أو الدينى.
- وأيضا: راح أهل السوق والشطارة يستغلون أجسادنا **كمجال ومرتع لتسويق بضائعهم، سواء كان جسدنا**

يحتاج هذه البضائع أم لا.

· وقد يبدأ استعمال الجسد لما ليس له منذ الطفولة، **كأداة للتنافس المسعور، وذلك مثلما يحدث حين يعدّ الأهل بناتهن ليصبحن**

· **أبطالا فى ألعاب القوى،** فتظل الطفلة فالفتاة فالبطلة تقوم بتدريباتها سنين عددا لتكسر الرقم القياسى، أو تفوز على منافستها بواحد على

· ستة عشر من الثانية (أى والله!!)، والأكثر قسوة أننا نفرح بذلك ونصفق لها وهى طائرة فى الهواء، أو سابحة فوق الحاجز!!!

(4) نلحق بالجسد إهانات بالبتر (مثل الختان) أو التزييف أو الحقن أو التعديل (تحت زعم التجميل!) بقدر أكبر من أى تصور وللأسف

بعض الفقهاء يعتبرون بعض ذلك هو "**الفطرة**!!"

(5) مع زيادة الاهتمام بالصحة الجسمية والوقاية من الأمراض والتلوث والمخاطر ينقلب تعاملنا مع الجسد إلى اعتباره سلعة لها ظروف تأمين خاصة، حتى نكاد نوصى أن نمسكها من الناحية التى بها أسهم إلى أعلى، لأنها تحتوى محتويات قابلة للكسر، ونظل نتبارى فى إطالة عمرها الافتراضى، بغض النظر عما تعنيه أو تحتوية هذه السلعة، وبغض النظر عما ستقوم به فى السنوات التى طالت (متوسط العمر) بفضل حرصنا على سلامتها.

خامسا: فى العلم، والطب، والتطبيب، يتم اختزال الجسد – عادة – إلى وحداته الأولية، باعتباره خلايا ومشتبكات، ترسل رسائلها إلى أعضاء وعضلات، ليصدر عنها سلوك وحركات ....إلخ.

ما هو الجسد إذن؟

إذا كان هذا حال ما آل إليه الجسد، فأين الجسد من مفهوم الفطرة كما قدمناه؟ تبدو الإجابة التى حضرتنى للتو غريبة، لأنها جاءتنى هكذا "**الجسد الذى يمثل الفطرة هو الوعى المتعين فى اللحم الحى الذى أمكنه أن يكون ضد كل (نعم كل) الاغتراب السابق الذى أوردناه تحت: "ماذا فعلنا بأجسادنا حتى تاريخه؟"**

الجسد هو كيان متكامل بكل وحداته، بما فى ذلك الدماغ/المخ، ، وفى نفس الوقت فإن له تجلياته التى لها استقلالها من حيث المبدأ، لكنها تصب فى حركية التكامل مع تجليات مكونات الوجود الأخرى.

ليس من حق العقل أن يصيغ الجسد رمزا مجردا.
للجسد حضوره كوعى قائم بذاته.

نحن نحتاج إلى منهج حياة آخر يسمح لجسدنا بالحضور من جديد وعيا فاعلا متكاملا يعرف وينبض ويتحرك، ويتلقى، ويعطى ويضيف.

نحن لا ندعوك بسذاجة عقلية أن تعترف أن لك جسدا،

أو أن تعى ذلك بقدر من الاحترام والاهتمام،

ثم إننا لا نقصد التركيز على الجسد، أو الانقلاب إليه،

ثم إن التركيز على الزعم بأن الجسد **هو أحد مجالات "تجليات الوعى"** لا يعدو أن يكون شكلا آخر من وضع الجسد فى موضع ثانوى.

نعم. إن استعادة دور الجسد لا تتم ونحن جلوس على المكاتب نمارس تجريده بالألفاظ، ولا هى تتحقق بتدريبات الوعى به،

ولا بدراسة وحداته كل على حدة.

فلا مفر من إعطائه حق الحضور ممارسا مشاركا بأعلى تجليات الحوار، والحركة، والإبداع.

الرياضة البدنية – برغم أهميتها- **ليست هى المقصودة بذلك،** خذ مثلا: رياضة "واحد اتنين"،" واحد اتنين"،هذه رياضة ليس لها علاقة بالجسد الفطرة بالمعنى الذى نقدمه،

أو خذ الرياضة المسماة كمال الأجسام أو رفع الأثقال كلاهما أبعد ما تكونان عن "الجسد الوعى"، بل إن أيا منهما لاتمثل لى فى النهاية إلا استمناء ضد "الجسد الوعى" المتعين (أشرنا فيما سبق إلى اغتراب الصغيرات المتنافسات فى ألعاب القوى..)

الجسد يعزف لحن الوجود مع جسد آخر

إن الجسد يحضر متناغما أكثر من خلال الحب فالجنس وبالعكس، ومن خلال **العمل الجسدى/اليدوى** الفاعل، يتم هذا وذاك فى مساحة سماح يتحرر فيها الجسد من الاحتقان والاختناق.

ثم إنه بالتواصل الحسى والجنسى على مستوياته المختلفة، تقوم الأجساد بإجراء حوار أعمق بعيدا عن وصاية عقلها القابع أعلى الهامة، حوار يتجاوز اللذة وهو يشتملها، لا هو يتوقف عندها، ولا هو يلغيها.

وأخيرا فإنه بالإيمان الجسدى الكلى، مرورا بالطبيعة إلى الكون المفتوح النهاية، يمكن أن ينطلق الجسد الوعى الممتد إلى ما بعده ليتأكد به.

وحتى اختفاء الجسد الفرد بالموت، لاينهى دور هذا الجسد، فثم فرض خَطَر لى وعايشته يقول:

إن الجسد وهو يرحل، وقبل أن يرحل، يترك بصمته الحيوية فى أجساد آخرين، كما قد يتركها فى أنغام الكون، الأمر الذى قد يكون مدخلا لتفسير كثير من الظواهر الفيزيقية، وأيضا ما يسمونه بالظواهر الميتافيزيقية، مع أننى أرفض هذه التسمية التى لم يعد لنا بها حاجة بعد تقدم الفيزياء العملاق أصلاً،

العلم المعرفى والجسد

إسهامات العلم – فى حدوده الحالية – لاستعادة دور الجسد، فطرةً نامية فاعلةً، والتعرف على حقيقة ما آل إليه ليست قليلة، خصوصا الاجتهادات الأحدث لإسهامات العلم المعرفى، والعلم المعرفى العصبى، وبعض الهندسة الوراثية، وعلم النفس الثقافى، والطب النفسى التطورى، وكلها إسهامات رائعة لكنها متواضعة لاتكفى، حالياً، هى فقط تفتح الآفاق لفهم جديد يربط بين مفهوم الفطرة كحركية نابضة، وبين الجسد كوعى متعين، وإذا كان العلم مازال قاصراً عن الإلمام بهذه المسألة، فإن اللجوء إلى أشكال أخرى من الإبداع قد يسعفنا ولو مؤقتا.

وهذا بعض ذلك:

أولاً : من أصداء محفوظ

النص: الفقرة 112: **ذكاء الجسد**

" فوق السطح وقفا يتناجيان، هو أطول قامة وهى أجمل وجها، أما أنا فألعب بالطوق مرة، ثم أراقبهما ولا أفهم. ويغيبان فى حجرة السطح قليلا ثم يرجعان فأعود إلى استراق النظر بمزيد من الحيرة. وجاء الإدراك متعثرا من خلال الأعوام الحامية".

القراءة:

هل لاحظت وظيفة النظر وهو يتبادل ويتكامل مع الحركة، وطفلنا محفوظ يتحسس الطريق إلى التعرف على الطبيعة البشرية بشكل مباشر؟

هل لاحظت التنقل ما بين اللعب بالطوق واستراق النظر إلى الحبين حتى التقط طفلنا بتلقائية عفوية تلك الفروق المميزة لهما وفيما بينهما، دون أن يسجنه الفهم (ثم أراقبهما ولا **أفهم**)؟

ألا يلهمك ذلك أن تُراجع كيف يتعلم الواحد منا الجنس؟

هل نتعلمه بالدروس!!؟ أم بالشرح النظرى؟، أم بالنمو التلقائى؟ أم بالتقليد؟ أم بالممارسة؟ أم بالكشف؟ أم بكل هذا وغيره مما لا نعرف؟.

العنوان الذى عنون به محفوظ هذه الفقرة لا بد أن يدهشك ويعلّمك كما أدهشنى ونبّهنى، العنوان يقول: **" ذكاء الجسد".** تصور؟ وهل يحتاج الأمر إلى مزيد من تعليق؟ وهل هناك معنى للفطرة أوضح من ذلك؟

يكفى هذا لننتقل إلى فقرة أصداء أخرى عنوانها يبدو لأول وهلة أبعد ما يكون عن العنوان السابق "ذكاء الجسد". حين تقرأ عنوان فقرة رقم 116 فى الأصداء بعنوان **"سيدتى الحقيقة"**، ماذا تتوقع قبل أن تقرأ متن الفقرة؟ ولأزيد الأمر عليك صعوبة وإلغازا، لتكتمل الفزورة، سوف أقول لك كيف

انتهت هذه الفقرة قبل روايتها، لقد انتهت وهى تقول: **"نِعْمَ الرفيق الشغف والمنازل"**. ثم خذ عندك البداية أيضا لعلها تسعفك (بينى وبينك أنا أصعّبها عليك أكثر)، تقول البداية: **"عرفت منازل الحقيقة فى عصر الفطرة".**

إذن فنحن **عندنا حقيقة**، لها منازل، يمكن التعرف عليها فى عصر **الفطرة**، لننتهى أنه "نعم الرفيق الشغف والمنازل". تصور ما شئت، ويا حبذا لو توقفت عن إكمال ما تقرأ، ثم نكمل معا القراءة ما بين تلك البداية وهذه النهاية تحت ذلك العنوان **"سيدتى الحقيقة":** هكذا:

الفقرة 116 "سيدتى الحقيقة"

"عرفت منازل الحقيقة فى عصر الفطرة. عندما تقرفص المرأة أمام طشت الغسيل أقرفص قبالتها فتلعب يدى

فى الماء وتسترق عيناى النظر. عندما ألهو فوق السطح فى الليالى البدرية أمد يدى فى الفضاء لأقبض على

وجه القمر. عندما نزور القبر فى المواسم أركز عينى على جداره لأرى.

نعم الرفيق الشغف والمنازل."

هيا نقارن استعمال محفوظ للفظ الفطرة، مع استعمال بعض الفقهاء المتوقفين عند حروف المعاجم، محفوظ يستلهم ويبدع حتى نعرف معه **"منازل الحقيقة فى عصر الفطرة"**، والفقهاء الأفاضل يفسرون ويفتون ولهم أجرهم، وكل منا يختار وهو مسئول عن اختياره.

هل كنت تتصور -قبل أن يصلك هذا الصدى- أن يبدأ **التعرف على الحقيقة فى عصر الفطرة**، من قرفصة طفل يسترق النظر إلى حقيقة الجسد والفخذان منفرجان حول طشت الغسيل،

ثم ينتقل إلى استراق الخيال وهو يمد يده يقبض على **وجه القمر**،

ثم ها هو يهم **باقتحام جدار القبر** أثناء زيارات المواسم وهو يكاد يخترقه بنظراته ليتعرف على حقيقة ماوراءه،

هل وأكْبَتَنِى ومحفوظ يمضى بنا واحدة واحدة يأرجحُنَا لنعرف الحقيقة، ونحن نترجّح بين:

بؤرة جسد امرأة،

وحضور وجه القمر،
ومحاولة استكشاف معنى آخر للموت،
لتنتهى القصيدة بهذه الحركة النابضة:
"نِعْمَ الرفيق الشغف والمنازل"

تقدم لنا هذه الفقرة ذكاء آخر لا يقتصر على **ذكاء الجسد، وإنما تتكامل به وسائل المعرفة بالانتقال النشط بين العارى الفج، والخيال الحى، على أرض واقع الوعى اليقظ،**

المرتبط برفيق لم يظهر، ومنازل لم تتحدد. هل هذه المنازل هى متدرج الوعى النامى، أم متعدد الخبرات اللاحقة، أم أنها الفطرة النامية جدلا وإيماناً؟!

ولكن كيف يكون الرفيق هو الشغف برقته وجماله، ولماذا عَطَفَهُ محفوظ على المنازل؟

المسألة لا تحتاج إلى الرجوع إلى المعاجم، وإنما تحتاج إلى إعادة قراءة الفقرة وتركيزك على الحركة، والرؤية، والإدراك، و"الجسد الوعى"، لتتأكد بوعى جسدك بدورك أنه: "نعم الرفيق الشغف والمنازل".

ثانياً: نص من خالدة سعيد
فى نقد أنسى الحاج : "حركية الإبداع" دار العودة، بيروت 1979 ص 65

" ... تراجع أنسى الحاج ، انسحب من العالم الخارجى المضىء اللامع الثابت المستقر، إلى عتمات الجسد حيث التشوش الفظيع فجأة لكل نظام، حيث النظام المؤسس للانهيار. ضمن حدود الجلد أدرك وحدته، وأنه، حتى حلفه مع جسده باطل ومتداع، وأن جسده مفكك وخائن لبعضه البعض الآخر.

فى عالمه الداخلى ذاك، بدا شعوره المتضخم بجسده، ففى قصيدة "فقاعة الأصل" تبدو "شارلوت" ذات شخصية مستقلة لها سلوكها، واتجاه حياتها، تبدو عدوا للشاعر، حتى قد يلتبس الأمر على القارئ المتسرع ويحسبها امرأة. شارلوت، هذه الشخصية الغريبة، **هي ما تنسله** الإصبع فى منتهاها قبل بداية الظفر". شارلوت هذه **"تخطت القافلة كشافة تتجسس".** إذن فأجزاء جسده تستعد للسفر، للتخلى عنه، وها هى تنذره "إن العقد سينفرط، إننا متخلون عنك، إنك مبدد شر تبدد"، إذن جسده الذى حسبه حليفه الوحيد سينفرط و"ينسل نسلة نسلة حتى يبدو لحمه العارى، ثم ينهار لحمه العارى ويسفر عن عظامه، ثم تلقى عظامه فى الليل"، وما تلك النسلة إلا "علامة"....

القراءة

قبل أن أدعوك لقراءة هذا النقد معنا، أرجو أن تنظر إلى أحد أصابع يديك، وأن تركز على تلك المساحة التى ركز عليها شعر أنسى الحاج، أو هو شخصيا، وهو يتعرف عليها، المساحة التى بين نهاية الإصبع وبداية الظفر، هل ترى شيئا ؟ هل ترى نسلة صغيرة من لحم عار؟ الإجابة هى بالنفى على الأرجح (لقد رأيتها أنا شخصيا الآن). أنس الحاج شاعر قصيدة النثر، حكايته مع الشعر والجنون والسرطان تحتاج إلى تفصيل آخر، لكن الذى يهمنا هنا فى نقد خالدة سعيد هو ما التقطته من رؤية الجسد يتحلل، ثم وهو يحضر بتحلله فى وعى الشاعر، ثم تتبدى استقلاليته فى ما أسته الناقدة **"عتمات الجسد"** حيث التشوش الفظيع فجأة لكل نظام. هذا التناهى فى التركيز على تفسخ الجسد وتناثره، يكاد يقابل التناثر الفصامى الذى يفكك كل شىء عن كل شىء، والذى يصيب الفكر

بقدر ما يصيب الوعى، هو التفسخ الذى يقابل هنا تحلل الجسد هكذا فى رؤية أنسى الحاج شعرا، وليس جنونا وانسحابا بعد. إن أنسى الحاج يعرف جنونه بوجه خاص هو يقرنه بالحرية. هو الذى يقول: إما الاختناق أو الجنون، بالجنون ينتصر المتمرد ويفسح المجال لصوته كى يسمع"، الجنون هو الوصمة التى يحملها من اختار أن يكون حرا، أن يتحرر من عبودية المفاهيم المعممة والسلوك المألوف والضياع بين الأرقام..." وأيضا كما تقول الناقدة عنه: "فى الجنون لا قوالب، لا نسب للجمهور، اللعنة حرية العذاب الداخلى .. فى السقوط حرية الفوضى، حرية التوغل فى الجسد" فتلاحظ أن التوغل فى الجسد زاده تمزقا ولم يجمعه وعياً.

ما العلاقة بين هذا التفسخ الذى حضر فى الوعى/الجسد بهذه الصورة الشعرية فالنقد، وبين اغترابنا نحن العاديون عن أجسادنا؟ إن ما يصفه أنسى الحاج وتلتقطه خالد سعيد بهذه الصورة المرعبة، إنما **يذكرنا كيف أننا نعيش فى سجن صنعناه من أجسادنا المخمَّدة المغتربة**، فلا نحن تحررنا من سجنها، ولا هى تحررت فأعفتنا من أوهامنا المعقلنة، فيزيد الضغط والاحتقان.

الجسد لايمثل الفطرة إلا حين يدب فيه، وبه، حضور الإيقاع الحيوى من جديد، لتعود حركية الفطرة إلى جدليتها، ولا يصبح الجسد إلا أحد أدوات إيقاع لحن الفطرة المتكامل

ثالثاً: استلهام من نص دينى

إن النصوص الصوفية والنبوية والإلهية ليست نصوصا للنقد العادى، ولا حتى للتفسير مهما بلغ الاجتهاد، **لكنها مصدر إلهام متجدد**، لذلك وجب التنويه فى كل مرة دون كلل.

جاء فى معنى الحديث الشريف وصفا لصهيب، بعد أن أنكره الحاضرون، ووصفوه بأنه : "إذا حضر لم يُستَشرْ، وإن غاب لم يُسأل عنه"، إلخ ، جاء معنى النص النبوى الشريف يرد لصهيب حقه بما معناه :

النص: "... صهيبُ مؤمن نسى، إذا ذكّر ذكر،
خلط الإيمان بلحمه ودمه،
ليس للنار فيه نصيب"

من يقرأ هذا الوصف الشريف قد ينتبه إلى آخره أكثر من أوله، وهو قد ينتبه أكثر وهو فرح كيف أن صهيب ليس للنار فيه نصيب ، لكننى أنا انتبهت أكثر إلى أنه **"نسى"، صهيب مؤمن نسى**، وأنه **"إذا ذُكِّر ذكر"**، ثم إنه **"خلط الإيمان بلحمه ودمه"**.

الذاكرة التى ندرسها تقليديا نتصورها بمثابة كتاب به معلومات مرصوصة، أو مخزن له غلاف محكم، أو مكتبة وضعت على رفوفها الذكريات، هذه الذاكرة ليست هى الذاكرة الحقيقية الأشمل التى تُمَثِّلها ذاكرة الجسد،

ذاكرة الجسد كله -شاملا المخ- **تكون فيها كل خلية بلا استثناء ممثلة لسائر الوجود،**

هذه الذاكرة تصبح أكثر فاعلية حين لا تعود ذاكرة، إذْ تصبح جزءاً لا يتجزأ من وعى مشتمل.

وهى بذلك ، تمثل الفطرة الأصيلة.

صُهيبُ هذا نَسِىَ بمعنى أنه تَمثَّل ما أدركه حتى صار جزءاً منه، فهو لم ينْسَ بمعنى الاخفاء بالتخزين المغلق، أو التآكل أو الكبت، ومن هنا نفهم -استلهاما- كيف أن صهيبا **حين نسى ازداد معرفة**، بمعنى **أن هذا النسيان ليس محوا أصلا، إنه استيعاب تام للمعرفة المُدْخَلة بحيث تصبح غير قابلة للاستعادة كما هى**، لكنها **قادرة أن تتخلق منها الخبرة الموازية عند الطلب**، هذا هو المعنى الذى استلهمته من أن صهيب "إذا ذُكِّر ذَكَر".

هذا النوع من التذكر ليس مجرد إحضار معلومة من مخزن، لكنه إحياء **فطرة** كامنة تم تدعيم تشكيلها حتى تخلَّقَتْ بالإيمان المتجدد،

من هنا لا يمكن أن يكون للنار فيها نصيب، فالنار لا تلتهم إلا النيازك الساقطة بعيدا عن هارمونية الكون والجسد.

(هذا ليس تفسيرا لنص دينى يعِلْم مُحدث، لكنه استلهام مسئول)

الإيمان المَعْنِى هنا الذى خلطه صهيب بلحمه ودمه وصلنى باعتباره ليس مسألة اعتقاد فكرى محدد، **الأمر الذى قد يلزم لضمان جدية المسار**، لكن الإيمان هنا يشير إلى الحركية الإيمانية الأعمق التى يؤكدها هذا النص ليتم من خلالها **"خلط الإيمان باللحم والدم"** حتى يلتقى جمال **الفطرة بجمال الكون فى رحاب الحق** سبحانه وتعالى،

هذا هو ما يمثل لقاء الوعى الجسدى الفردى بالوعى الكونى **الممتد**، وهو الذى لا يسمح بالنيازك أن تتساقط، حتى لو حاول عقل صاحبها أن يفرض وصايته على كل ذلك.

فكيف بالله عليكم نستعمل نفس الكلمة "الفطرة" ونحن نتساءل "هل تملك شعوب الفطرة دينا؟ ثم نجيب على هذا التساؤل بالنفى، وننفى بالتالى أن أى دين هو دين الفطرة؟

هذا خلط أوراق لانلوم فيه أحداً، **لأن لكل واحد الحق أن يستعمل ماشاء لما شاء**، ولكن أى لفظ لايعطى معناه إلا فى سياقه الخاص جداً.

تماما مثل وضع الألفاظ القديمة فى قصيدة شعر جديدة جميلة

الإربعـــــــاء 07-11-2007

68 – مقتطفـــــات بلا موقـف.... عن المـــوت والوجـــــود

أثناء بحثى عن مقال **"هل تعرف أن لك جسدا"** (ولا مؤاخذة) فى تلك الصحيفة اليومية القومية (كان الله فى عونهم)، وجدت موضوعين من أهم ما يمكن، يصلحان لفتح باب النقاش حولهما فى هذه النشرة: الأول نشر بتاريخ 2005/11/25 بعنوان: **كيف ومتى يعرف الطفل ما هو الموت؟ ونحن أيضا؟** والثانى 2005/12/2 بعنوان: **مِنَ الموت "الجمود إلى الموت المولود"**، ودون أن أتصفحها، رجعت إلى ما شغلنى فى الأعوام الأخيرة، وأيضا إلى نقدى لخرافيش نجيب محفوظ، كان هذا الذى شغلنى قد دعانى إلى أن أوقف هذا التدفق التساؤلى، والفروض المتلاحقة، وأرجع إلى بعض أدبيات وتراث هذا الموضوع "الموت"، وفى مكتبتى وجدت هذا المرجع الموسوعى عن **"الموت والوجود" "دراسة لتصورات الفناء الإنسانى فى التراث الدينى والفلسفى العالمى"**، تأليف: **جيمس ب. كارس، ترجمة بدر الديب، إصدار المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة**، قلت بدلا من أن أحدّث أحد هذين المقالين السالفى الذكر لأقدمهما فى النشرة اليومية، أتصفح هذا الكتاب، ونبدأ بتقديم بعض فقراته قبل طرح فروضى المتدفقة، وليكن باقتطاف بعضها، ثم التعليق عليها تحت عنوان: **"مقتطف وموقف".**

أخذت أتصفح الكتاب البالغ "610 صفحة"، من القطع الكبيرة، ووجدتنى قد **خططت وهمّشت أغلب صفحاته**، حاولت أن أتذكر: متى قرأته بهذا الاتقان؟ وماذا وصلنى منه وأنا أقرأه وأصارع أفكاره هكذا؟ وماذا تبقى من كل ذلك؟ ثم إننى اكتشفت أننى – شخصيا – قد اتخذت موقفاً مَا بعد كل فقرة خططتها أو عقبت عليها فى الهامش، فاحترت أى من هذه الفقرات فالمواقف أقدمها لقارئ هذه النشرة اليومية؟ وكيف؟

الأصعب من ذلك أننى شعرت بمسئولية مضاعفة وأنا أتساءل: أى مقتطف من هذه المقتطفات يصلح للنشر؟ وأى موقف مما كتبت يمكن أن أعيد صياغته لينزل فى موقعه عند القارئ؟ وخطر ببالى بعض التعليقات التى ترد إلى الموقع من زواره الطيبين فأرد عليها بدورى فى بريد الجمعة، كما خيل إلى أن أغلبهم إن لم يكن جميعهم عندهم ردّ حاسم وقاطع فى هذه المسألة بالذات، فلماذا النشر؟ ولماذا الحرج؟.

ثم إنى رجعت أتساءل من جديد: لماذا تُرْجِمَ هذا الكتاب (ومثله)؟ ومن ذا الذى قرأه؟ وما الذى تحرك فى وعى من قرأه؟ إلى اين؟ ثم ماذا؟

ثم إذا أنا لم أجد إجابات تسمح لى بنشر ما هو **"مقتطف وموقف"**، مما قد بلغ الآلاف، فعزفت عن النشر فما فائدة أى شئ؟ إذا كان الخطر **سيسبق القول، والخوف سوف يصاحب الفهم، والتردد سوف يحول دون البوح إلى هذه الدرجة؟** ما فائدة أى شئ؟.

أخيرا طرأ على بالى خاطر غير مسبوق، وهو أن أنشر مقتطفات محدودة من المقدمة، ثم مقتطف واحد هو "بعض آخر فقرة فى الكتاب"، وألا أعلن عن موقفى الشخصى من أى منها، (ومن هنا العنوان: مقتطف بلا موقف).

ثم أطلب من القارى / الزائر: أن يتخذ من هذه المقتطفات المقدمة الموقف الذى يراه، ويرسله إلينا متفضلا، ثم بعد ذلك نقرر ما نرى فى أمر الاستمرار فى اقتطاف ما هو أصلح وأنفع ويمكث فى الوعى بإذن الله إلى وجهه تعالى.

***

المقتطف (1) ص "أ"

كلمة محرر السلسلة

... صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة بعنوان "الحركات الدينية المعاصرة" عن دار النشرالأمريكية جون ويلى **John Wiley** التى تصدر السلسلة بعنوان إضافى على أنها سلسلة تعتمد على **ترابط العلوم وتشاركها.**

ومحرر السلسلة هو إرافنج. إ. زاريتسكى **Irving. I. Zaretsky**، وقد أعد محرر السلسلة المقدمة التالية للكتاب:

... تعتبر مواجهة كل فرد منا لمسألة فنائه الشخصى ذات أهمية مركزية فى حياته، ومن هنا يتكون لديه إتجاه أو نظرة شاملة نحو الحياة والموت تشكل كيفية ومضمون سلوكنا اليومى.

إرفنج إ. زاريتسكى

نوفمبر 1979 نيويورك

الموقف:

... من السطرين الأخيرين لو سمحت..(أو غير ذلك كما ترى)؟

***

المقتطف (2) ص "ج"
كلمة تمهيدية للمؤلف

.... "لقد سجلت نفسى فى هذا البرنامج الدراسى لأنى أعلم **أن ليس هناك شئ على الأطلاق يمكن أن أتعلمه منه، وقد كانت تلك كلمات طالب فى أول فصل دراسى تعرضت فيه لموضوع الموت،**

وكان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات، وعلى الرغم من أن ملاحظة الطالب قد تلقاها زملاؤه من الطلبة بمرح كبير، كما كان يقصد الطالب، فإنها تبدو لى الآن مثقلة بالتنبؤ السليم.

فلاشك أن الطالب كان على صواب تماما، فلم أكن أنا ولا غيرى بقادر على أن يعلّمه شيئا عن الموت. فالموت فى ذاته ليس شيئا. وعندما أشار هاملت إلى الموت على أنه الأرض التى لم يعد من شواطئها كل من سافر إليها، فإنه كان بذلك يبعث على نحو حاسم الوضوح هذا الانفصال الذى يحدث بيننا وبين الموتى.

الموقف:

..... مِنْ هذا **الطالب،** أو مِنْ **رضا أستاذه المؤلف عن موقفه،** أو مِنْ موقف **هاملت،** أو مِنْ نهاية الفقرة (أو غير ذلك... كما ترى).

***

المقتطف (3) ص "هـ"
..... مِنْ كلمة المؤلف أيضا:

... وعلى هذا فهذا كتاب شخصىّ تشكل فى جانب منه من بحثى الروحى، ومن عدد لا حصر له من المناقشات مع طلبتى زملائى وأصدقائى. وحقا أن الكتاب ليس به ما يعلم أى أحد عن الموت من حيث هو، ومع ذلك فكل أملى أن فيه الكثير الذى يقوله عن الحياة.

جيمس كارس
خريف 1979

الموقف:
.....(كما ترى....).

***

المقتطف (4) ص "ح"
من كلمة المترجم

فى تركيب الكتاب وحدوده وتجربة ترجمته

.... وهكذا نجد فى فصول الكتاب، بعد عبارة "الموت من حيث هو" مفاهيم وتصورات مثل المعرفة، والإغفال، والحب، والوجود، والصيرورة، والتاريخ، والإيمان، والرؤية، والسلطان، والخطاب". وتمثل هذه التصورات المواجهة لتصور الموت المساهمة الفكرية الكبيرة للكتاب فى مواجهة الموت وفى إعطائه معنى فى وجودنا الإنسانى.

إن الكتاب كان يستحق ما بذل فيه من جهد وأنه فى آخر الأمر يعد نشيدا للموت وتهليلا للوجود وأنه، إن لم يجب على الأسئلة التى لا إجابة عنها فإنها قد تفتح للعقل والقلب مجالا للحوار والفهم هو باتساع الحياة والموت نفسه.

بدر الديب 1997/12/28م

الموقف:

..... عن **"الموت من حيث هو"**، أو عن مجالات الحوار!! (أو كما ترى).

***

المقتطف (5) ص "1"
مقتطف من مقدمة الكتاب

.... هذا الكتاب، هو دراسة نقدية **لعشر تصورات رئيسية للموت،** وتهدف المقدمة إلى أن تضع الخطوط الخارجية لتصميم الدراسة وأن تبين الأسباب التى دفعتنى على القيام بها.

وعلى هذا فسنحاول أولا أن **نصف أى نوع من الظواهر هو الموت؟** ولماذا **يمكن تصوره بطرق مختلفة**؟ بل، فى الحقيقة، هى غاية فى الاختلاف حتى إن كل منها ينفصل ويستعبد الآخر.

الموقف
..... عشرة ؟؟!! لماذا كل هذا التعب وهذه الحيرة، وكل شئ محسوم؟ (أو ما هو رأيك)؟

***

المقتطف الأخير
آخر سطور الخاتمة ص 610

... وقد كانت فكرة كير كجارد أننا نتغلب على اليأس الذى هو أعلى صور الحزن ليس عن طريق بلوغ حالة الخلود التى لا تغيير فيها (والتى هى المرض حتى الموت فى ذاته)، بل بأننا نحمل الموت إلى تاريخنا الشخصى وذلك بنقل معنى حياتنا إلى الآخرين.....

الموقف من هذا المقتطف الأخير (؟؟؟؟)

موقف محرر النشرة

..... ما لزوم ترجمة ونشر مثل هذه الكتب أصلا؟ إذا كنا لا نحتاجها من الأساس هكذا؟؟!!

نوفمبـــــــــر 2007 : **أسبـــوع1**

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق باالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليهاو مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجى (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007